الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

* كلية الآداب و العلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية *

* معهد الثقافة الشعبية *

معهد الثقافة الشعبية
رقم جرد 410
تاريخ الوصول
رقم

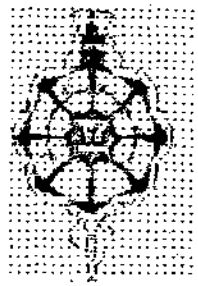

مكتبة الكلية

رسالة تخرج لنيل شهادة الماجستير

الموضوع

الخطاب الجنسي في الشعر الشعبي
رباعيات عبد الرحمان المجذوب نموذجا

إعداد الطالبة :
- داود نورية

إشراف الأستاذ :
الدكتور سعيدي محمد

السنة الجامعية : 2001-2002

إهداء

إلى من كانت صرخاته الأولى بعثا لأمل جديد و إشراقة جديدة في حياتي إلى زهرة عمري و الشمعة التي أنارت طريقي إلى ابني أيمن. إلى من أدين لهما بالحب و العرفان إلى والدي الكريمين.

شکر و اعتراف

أتقدم بشكري إلى من وقف إلى جانبي حتى أتممت هذا البحث دون تأفف أو ضجر إلى من شاركني قلبي, و لن أستطيع بكلمات أن أقدر الجهد الذي بذله معي! كذلك أسجل اعترافي بالجهد الذي بذله معي أستادي المفضل الذكتور سعيدي محمد في الإشراف على هذه الرسالة.

إلى زوجي العزيز

أما شكري الخاص فأتقدم به إلى الأستاد الدكتور رمضان محمد على المساعدة المعنوية التي قدمها لي.

المقدمة

نموذجا*. لأن إحياء الشعر الشعبي "الرباعيات" و دراسته و الاهتمام بالتراث الذي انفرد به عبد الرحمان المجدوب [نظم الحكم الشعبية في شكل رباعيات] و هو تراث ما يزال في حاجة إلى مزيد من اهتمام الدارسين و قد اخترت دراسة منظور عبد الرحمن المجدوب دون سواه من شعراء الشعبي لسباب عدة أهمها :

١. رأيت كتب التراجم صرفت نظرها عن إعلامنا الشعبي أمثال عبد الرحمن المجدوب، و إن فعلت فمبلغ معلومات لا تفي بالغرض و الذليل على ذلك انعدام ديوانه في مكتباتنا مع أني أراه مصدرا أساسيا لدارسي الأدب الشعبي.

٢. جاءت رباعياته على شكل حكم شعبية منظومة ترصد القيم الاجتماعية و الأخلاقية في الواقع المعاش نتيجة لنظرة متكاملة واعية و مفكرة و مقننة للظواهر الاجتماعية و غيرها المستخلصة بواسطة العقل من حياة الناس. و الغاية من هذه الفلسفة هي أسمى من أن تكون مجرد نقد للعادات و التقاليد بل تهدف هذه النظرة المحكمة إلى أخذ العبرة المتمثلة في الاستفادة من تجارب الأولين السابقة.

٣. التداول اليومي و العفوي لهذه الحكم الشعبية على لسان العام و الخاص جعلها تطبع الحياة العائلية

بطابع خاص حتى كادت أن تكون عند البعض قوانين لا يجب مخالفتها.

٤. لم يكن الشاعر عبد الرحمن المجدوب شاعرا يطغى على أشعاره طابع الغزل و اللهو مثل باقي الشعراء بل كان حكيما فجاءت حكمه على شكل رباعيات منظومة.

٥. محاولة بعث جانب من التراث الأدبي الشعبي المغاربي، الذي هو جزء لا يتجزأ من التراث العربي و الإنساني لا سيما الشعر منه, فهو يحمل في طياته بذور حياته و اندثاره في ذاته و في نفوس دويه و أهله, إذ أن المهتمين به لا يريدون إطلاع الغير على ما يتوفرون عليه.

و عن صعوبات البحث التي اعترضتني فهي تتمثل فيما يلي :

- قلة المراجع عن عبد الرحمان المجدوب و افتقارها للمعلومات الخاصة بعصره وكذا المراجع الخاصة بالجانب النظري و الفني للشعر الشعبي.

أما موضوع هذه الرسالة فهو يرصد صورة المرأة ووضعيتها في رباعيات عبد الرحمن المجدوب. و قد تعين علي في هذا البحث المحدد أن أركز على نموذج واحد من النتاج الثقافي الشعبي ألا و هو

رباعيات المجدوب قاصدة من خلال ذلك الكشف عن سر التناقض الظاهر في حكمه الشعبية الجامعة بين الهجاء و الغزل لا سيما إذا عرفنا أنه لم يكن مجرد شاعر عادي يصب غضبه على المرأة لمجرد أنه ناقم عليها أو أنه يغزل بها لمجرد أنه يريد ذلك. –وهذا ما توحي به القراءة الأولية للرباعيات– بل على العكس من ذلك تماما فهو رجل حكيم متزن، لكن القراءة الباطنية المعمقة لرباعياته تـــدل و كأنه يشعر بعقدة اتجاه المرأة و من ثمة فالسؤال الذي يطرح نفسه إلى أي حد تصدق و تصح هذه الفرضية ؟.

و كنتيجة حتمية و منطقية لهذا الإشكال المطروح يتجلى لنا إشكال ثالث و هو لماذا هذا الرفض للذات النسوية الذي يكاد يكون مطلقا؟ و هو رفض و إن لم يكن ظاهرا إلا أنه موجود في الذات اللاشعورية للشيخ عبد الرحمن المجدوب. و من دون شك أن هذا الرفض لم يخلق من العدم و إنما هناك مرجعية تتحكم في هذه العلاقة و هذا الصراع الدائم بين الرجل و المرأة لا سيما إذا عرفنا أن الإسلام قد فصل في هذه القضية حين بيـــن حقوق و واجبات كل منهما.

وقد اشتملت خطة البحث على مدخل و ثلاثة فصول وخاتمة. تناولت في المدخل لمحة وجيزة عن التباين الجنسي و تعريف بالشاعر و بالجنس الشعري الذي نظم فيه. أما الفصل الأول فقد تحدثنا فيه عن صورة المرأة في المجتمعات العربية القديمة و عن انعكاس هذا الواقع النسوي في الذاكرة العربية. أما الفصل الثاني فجاء في قسمين تناولنا في الجزء الأول "صورة المرأة في بعض الأشكال الأدبية العربية" أما

الفصل الثاني فقد تناولنا فيه صورة المرأة في رباعيات عبد الرحمان المجدوب بقيمتيها السلبية و الإيجابية مدعمين ذلك بمكانة المرأة في عصره مع عرض وجيز لحكاية من الموروث الثقافي الشعبي عن المجدوب و كيد النساء. وقد أدرجت هذه الحكاية ضمن البحث لأنها تخدمه و تمكن القارئ من الخروج بفكرة عامة حول سبب الصراع القائم بين الشاعر و المرأة و لو أن هذه الحكاية من الموروث الثقافي الذي يزيد أو ينقص حسب راويه.

أما الفصل الثالث و الأخير تناولت فيه أبعاد الرؤية الفنية لرباعيات المجدوب و ختمنا دراستنا هذه بخاتمة.

المدخل

من الملاحظ أن إشكالية الجنس بدأت تكتسي أهمية خاصة في السنوات الأخيرة على مستوى الأبحاث و الدراسات الميدانية... و كما هو معلوم فكثير من المؤلفات و النصوص التي تحدثت عن الجنس كمحرم يحتاج إلى تشريح و وجهت بالمنع و المصادرة على أساس خلفيات ثقافية و اجتماعية معينة و في مواجهة ذلك ترتفع صيحات و نداءات مؤيدة لضرورة تحرير خطاب الجنس, و قول الحقيقة عنه.

وهذا المنع ليس وليدا لخطة الإنسان الراهنة, بل جدور ضاربة في أعماق الحضارة الذكورية. أي زمن هزيمة المرأة و امتلاك الرجل لكل شيء حتى لجسد المرأة معا. فأصبح بذلك يخفي تخوفاته المتناقضة: تخوفه من المرأة على نفسه و تخوفه على المرأة من غيرها. و بالتالي تحصل على مشروعية وضع حدود فاصلة بين المباح و المحرم في إطار المؤسسة الذكورية[1].

و كما هو معلوم فخطاب الجنس هو من أكثر الخطابات المندرجة ضمن اللائحة السوداء, وحين نقول الخطاب الجنسي لا نعني به دائما الحذيث عن الحركية الجنسية لجسم المرأة أو الحذيث عن كل ما هو عيب أو محرم فالعكس من ذلك. فإذا ما قلنا خطاب الجنس قصدنا به المؤلفات و النصوص التي تتحذث عن الجنس بصفة عامة أو قصدنا الكتابات التي تعطي لنفسها مشروعية *الدفاع* أو *النقد* أو *الهجوم* على المرأة { بإعتبار الخطاب: " نسخ من الألفاظ, و النسج

[1] عبد الواحد الفقيهي: الجنس... بين التحريم و الكتابة, دراسات عربية, العدد ٤ فبراير ١٩٨٨, تصدر عن الطليعة ص ٤.

مظهر من النظام الكلامي, الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواهً"[1].

أما الخطاب الشعري: " هو كل إبداع أدبي بلغ الحد المقبول, ونال إعجاب أكثر من ناقد, أي كل إبداع أدبي نال الحد الأدنى من إجماع الناس على جودته فيصنف في الخالدات من الآثار الفكرية "[2]} مثلما هو الشأن في رسالتنا. فموضوعها الخطاب الجنسي في الشعر الشعبي. و نقصد بالجنسي هنا النوعي أي جنس المرأة و بالتالي نرصد وضعيتها و صورتها من خلال خطاب عبد الرحمان المجدوب. فالثقافة التقليدية تختزل المرأة إلى جسدها فأنوثتها هي قدرتها و المحددة لمصيرها "الأنوثة هي العلة", و حتى القوى العقلية للمرأة مكيفة بأخلاق الأنوثة. فالنضرة التقليدية ترى في المرأة تارة لغزا و كائنا عجيبا, و تارة رمزا للإغراء و الغواية. فالمرأة كانت و لا تزال عورة و العورة شيء مقدس فهي رمز للشرف و العرض, و تلك القيم فوق زمانية و فوق مكانية. و كما كانت المرأة رمزا لشرف الجماعة فإن الرجال يحرسون السلوك الأخلاقي للنساء و يخضعونه لرقابتهم الدائمة, فهي تبقى خاضعة للوصاية الذكورية الأبدية لا تبلغ سن الرشد مهما بلغ عمرها.

وعلى هذا الأساس توزع كافة المجتمعات وظائفها تبعا للجنس إذ أن هذا الأخير أساس التنظيم الاجتماعي و هو شائع في مراحل تطور المجتمعات البشرية بدءا بمجتمعات الصيد و الجمع في إفريقيا،

[1] د. عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري "دراسة تشريحية لقصيدة". "أشجان يمانية" ديوان المطبوعات الجامعية : الجزائر مارس ١٩٩١ ص.٣٤.
[2] المرجع نفسه ص٢٣

و انتهاءا بالأمم الصناعية في الغرب. لكن وجهة الخلاف تنحصر في الأهمية الإجتماعية المعنية وفق المفهوم الذي يفترضه التباين الجنسي الناجم و ذلك ضمن بيئة حضارية محددة.

ففي العالم العربي ذي السمة العشائرية و العقيدة الإسلامية يبدو التباين الجنسي واضحا من خلال انزواء النساء و تحجبهن و خلودهن إلى منازلهن، لكن الإسلام يتخذ موقفا أكثر تقدمية من أي دين آخر ذلك أنه أعطى صورة متكاملة عن دور المرأة المنسي و مكانتها في المجتمع.

لكن هذا لا يمنع من أن كل مجتمع عربي إن لم نقل كل زمن من أزمنة هذه المجتمعات العربية قد يكتسي طابعا خاصا تجسده الثقافة أو الذاكرة الشعبية حول تمايز الجنس (الذكورة و الأنوثة) فمن أهم الصراعات القائمة عبر أجيال البشرية هو الصراع بين الرجل و المرأة و ذلك منذ أن انتزع حقها في النسب. فقد ظل الصراع بينهما قائما [منذ أن بدأ النظام الأموي] حتى اليوم. هذه العلاقة التي يغلب عليها تحقير الرجل للمرأة في المجتمع الإسلامي وهي جزءا من تحقير القوي للضعيف في الأوساط الاستبدادية.

وكما هو معلوم فالإسلام جاء مثبتا لما أتت به الشرائع و الأديان السابقة, مع إدخاله بعض التعديلات و الإصلاحات على وضع المرأة لكن وضع هذه الأخيرة في العائلة الإسلامية يختلف عن ذلك, فهي لاتزال تعيد إنتاج ما أقرته الشرائع السابقة, فالذكر هو السيد المتبوع

الآمر الناهي و صاحب الحق في كل شيء أما المرأة فهي تابعة, مقيدة بقراراته و سلطته...

و كما ذكرنا سابقا فإن تبعية المرأة و وضعها المتدني في سلم التدرج الإجماعي لم يكن عشوائيا ولم يأتي من العدم, بل جاء نتيجة حتمية لتخطيط إستراتيجي محكم هدفه الحفاظ على حقوق الذكورة وضمان سيادتها, أي ضمان إعادة إنتاج السلطة الأبوية وهذا ما سنلحظه في نصوص الموروث الشعبي لاحقا.

و موضوع المرأة عنوان هام، تدور حوله أبحاث كثيرة و من يستعرض إنتاج الأدباء الشعبيون يدهش لهذا الكم الهائل من الأشعار التي تناولت المرأة رغم أن معظم هذه الكتابات تصور المرأة تصويرا خاطئا أو متناقضا إلا أنها تدل على أن الرجل يخاف من المرأة لأنها تحمل في ضعفها و بساطتها قوة و عناد لا مثيل لهما. لذلك فإن المساواة بين الجنسين غير معترف بها اجتماعيا و قانونيا في أغلب المجتمعات فاللاّمساواة تعود إلى نظرة المجتمع و إلى العوامل الثقافية [أي تعود إلى الثقافة و ليس إلى الطبيعة]. فالثقافة هي الخلفية المركزية في اللاّمساواة بين الجنسين و بالتالي في دونية المرأة سواء في الماضي أو الحاضر.

و عليه فكل ثقافة مزودة بخطاب جنسي خاص بها و بعصرها, وقد اجتمعت يدا المرأة و الرجل على مر العصور للحفاظ علي البقاء و تحسين وسائل العيش, إلا أن الرجل حين أحس بتفوقه العظلي على المرأة و بدفعه العدو عن نفسه و عنها و عن أطفالها أخذت فكرة

الحماية مأخذها. فتحسنت في ذهنه الفكرة بل مبدأ حاول فرضه و لا يزال فرضه بالقوة أو باللين على المرأة و أعتبرها تابعا له لا ندا إلا في حالات نادرة. و مند تجسيد الرجل لهذه الفكرة, فكرة التبعية بدأ الصراع بينهما وبدأ المد الحضاري بين شد و جدب يرتفع و يسمو إذا ما كان فيه للمرأة المنزلة و التقدير و يسف إذا ما فقدت المرأة فيه عملها كان يسهم في البناء, ذلك أن المرأة لم تعط مكانتها و حريتها في مجتمعها بصورة دائمة بل سلب منها ذلك في غالب الأحيان مند القدم حتى عصرنا الحاضر.

وكما قال أنات واينز : (نحتاج إلى فهم العلاقات القائمة بين الرجل و النساء ذلك أن هذه العلاقات هي نفسها التي تشكل النظام الحضاري, نحتاج إلى مقارنة الوسائل المختلفة التي تلجأ إليها النساء للحد من مجالات الرجال, فالرجال و بغض النظر عن افضالهم عن النساء من حيت المكانة و السلطة... إلخ. ليسوا أحرارا تماما في تعاملهم مع النساء)[1]

[1] أمل رسام : شؤون عربية : نحو إطار عمل نظري لدراسة المرأة في العالم العربي. العدد ٢٢, ديسمبر ١٩٨٢ / صفر ١٤٠٣ ه (ص ١١٨).

عبد الرحمان المجذوب أصله و نسبه:

هو الشيخ أبو زيد سيدي عبد الرحمان المجذوب بن عياد بن يعقوب ابن سلامة الصنهاجي الدكالي[1] ذكر أن ولادته كانت في أوائل القرن العاشر الهجري و بالضبط في رمضان سنة ٩٥٩ هـ[2] الموافق لأوائل القرن السادس عشر ميلادي أي سنة ١٥٠٣ م[3] بقرية تسمى نيط الواقعة قرب أزمور شمال مرسى الجديدة في ساحل المحيط الأطلسي بالمغرب الأقصى.

لقب بالمجذوب من قبل أهل زمانه, و عرف بهذا اللقب و به داع صيته في أقطار المغرب العربي و اشتهر به. و مصطلح المجذوب ليس معناه فاقد الحس و التمييز بين الأشياء كما هو شائع بين الناس في الوقت الحالي لأن الشيخ عبد الرحمن المجذوب لم يكن كذلك. كما أنه لم يكن مغلوبا على نفسه منقطعا عن الدنيا بل على العكس من ذلك, كان يؤدي وظائفه الدينية و الرسوم الشرعية على أكمل وجه. فقد كان صوفيا زاهدا في الدنيا طائفا في أرجاء البلاد للوعظ و النصح و الإرشاد ضف إلى ذلك أنه كانت له عائلة و زاوية يقدم فيها الطعام للوافدين إليها من الزوار و عابري السبيل [4].

كما ذكر أنه في القرن السابع عشر و بالضبط في عصر السلطان مولاي إسماعيل انتقل الشيخ إلى مكناس حيث دخل العديد من المدارس فتعلم الكثير و خاصة في نظم الشعر الذي أصبح يتحكم في

---

[1] نور الدين عبد القادر، القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجذوب – المطبعة الثعالبية –الجزائر دوت تاريخ ص ٩٤
[2] محمد الفاسي معلمة الملحوة ج٢ القسم الثاني ، الهلال العربية للطباعة و النشر الرباط المغرب ص ٢٥٥
[3] نور الدين عبد القادر المرجع السابق – نفس الصفحة
[4] المرجع نفسه ص ٥١

براعته ، فكان ينظم الرباعيات حيث حفظت و انتشرت في كل أقطار المغرب العربي و ترجمت إلى عدة لغات و نشرت و لا زالت إلى الآن يذكرها المداحون في الساحات العمومية و هي بمثابة حكم و نظرات إلى مجتمع المغرب العربي [1].

أما الانقلاب الجدري الذي حدث في حياته فقد حصل بعد أن هاجر إلى فاس و حضر الدروس على يد علمائها مثل سيدي علي بن احمد الصنهاجي و عليه تغيرت أحواله فترك مجالس الدرس تاركا معها كل الشؤون الدنيوية و ملاذها حتى أنه طاف في الأرض بغية النصح و الإرشاد غير مستقر بمكان حتى وصل إلى الجزائر ثم تونس و لعل هذا ما جعل الكثير من الناس في العصر الحديث يجهلون الموطن الأصلي لهذا الشاعر الحكيم .

و بما أن الفترة التي عاش فيها هذا الأخير تميزت بأوضاع سياسية غير مستقرة [فترة ظهرت فيها الأطماع الصليبية في المغرب العربي] أصبحت مهنة الشاعر الشعبي آنذاك غير مراجة فأظطر إلى ممارسة عدة أعمال مختلفة من بينها راعي غم ، خماس...

ولعل الشيء الذي أزعجه و أقلق وحدته، إن لم نقل سبب شقائه أنه كان نصف ضرير في بداية الأمر ، ثم أصيب بعدها بالعمى و في ذلك قال :

مَتَلْتْ رُوحِي لَتَبْيبْ فِي كُلْ شَجْرَة يْنَادِي

[1] محمدالفاسي ، المرجع السابق ص ٢٥٥

يْعَيَـطْ يَا قلة لَحبيبْ يَا خْرُوجِي مَنْ بْلاَدِي[1]

هكذا كانت حياة الشيخ عبد الرحمن المجدوب، حياة ترحال.

و تجوال، و حين تقدم به السن و اشتد به المرض و أحس بدنو أجله طلب من المقربين منه أن يذهبوا به إلى مكناس لكن شاءت الأقدار أن يتوفى في طريقه إليها و كان ذلك في يوم الأحد ليلة عيد الأضحى سنة ٩٧٦ هـ[2] .

تعريف الجنس الشعري –الرباعيات

يمتاز الأدب الشعبي مثله مثل الأدب الرسمي بالتعددية و التنوع من حيث الأشكال التعبيرية. و أقوال عبد الرحمن المجدوب نموذجا من هذه الأشكال، إذ أنها تميزت بطابع خاص ، فهي على شكل رباعيات و عليه فالسؤال المطروح ، ما معنى الرباعيات ؟ و هل هي فن أصيل في الأدب العربي أم دخيلة عليه؟ و لأجل ذلك يستوجب علينا معرفة معنى هذا المصطلح و منشأه و أصوله الأولى .

إن ذكر كلمة رباعيات يتضح لنا مباشرة مفردها ألا وهو رباعي و مؤنثها رباعية و هو كل ما كان مركبا من أربعة أجزاء كيف ما كان هذا الشيء كالشكل الهندسي مثلا حيث ورد في لسان العرب:

رباع : معدول من أربعة ، و قوله تعالى *:(مثنى و ثلاث و رباع)* أراد أربعا فعدله [3]

---

[1] أبو المحاسن يوسف العاسي ، ممتنع الأسماع ، في ذكرى الجازولي و التباع و ما لهما من الأتباع :الطبعة الحجرية . فاس د.ذ.ت. ص١٠٣

[2] المرجع السابق نفس الصفحة

[3] سورة النساء الآية ٣

الرباعية : مثل الثمانية : إحدى الأسنان الأربع أي التي تلي الثنايا بين الثنية و الناب ، تكون للأسنان و غيره و الجمع رباعيات [1]

أما إذا تصورنا معنى هذه اللفظة في الجانب اللغوي، فالرباعية اسم أطلق قديما على نوع من الشعر تعود جذوره الأولى إلى شعراء الفرس يتكون من بيتين لا غير, إن الرباعية متكونة من أربعة أشطر تتحد في القافية[2] أو كما سماها البعض أربع مصاريع، فالثلاثة الأولى في الرباعي عبارة عن تمهيد للمصرع الرابع [و من شروطه أن يكون رفيعا لطيفا يجري مجرى المثل] .

و قد توصل الباحثون إلى أن الرباعي المتميز بتقنية مصارعه الأربعة جذوره الأولى من الشعر الفارسي القديم، و هذا القالب الشعري صالح لجميع الأغراض الشعرية ضف إلى ذلك أن كل رباعية يجب أن تكون مستقلة بمعناها عن سواها من الرباعيات[3].

سمي أيضا الدوبيت لأن (دو) في اللغة الفارسية تعني اثنان و غاية ما ينظم منه بيتان و يكون الدوبيت أكثر استعمالا في المعاني الرقيقة أو في الغناء و أجزاءه هي :

"فعلن متفاعلن فعولن فعلن"[4] في كل الأشطر و في بعض الأحيان في كل شطر يطرؤ على أجزائه بعض التغيير فنستدل متفاعلن بما يلي:"فاعلين أو تسكن تاء متفاعلين بالإضمار و يحذفون النون منها

---

[1] لسان العرب ، للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد مكر أبي منصور , دار بيروت للطباعة و النشر ١٣٨٨ه- ١٩٦٨م ج٨
[2] دائرة المعارف الإسلامية ، المجلد العاشر ، ترجمة مجموعة من الأساتذة دون ذكر الطبعة و السنة ص ٣٠.
[3] الشيخ محمد بن أبي شنت : بحقه الأدب في ميزان أشعار العرب – دار الغرب الإسلامي لبنان ط ٤ سنة ٤١١ هـ/١٩٩٠ م . ص ١٢٧)
[4] المرجع نفسه الصفحة ١٢٦

حال زيادة الباء بعد العين. كما لهذا الأخير أي الدوبيت أو الرباعي خمس أعراض و سبعة أضرب.

- *الأولى تامة ثقلية* : وزنها فعلى و لها ضربان : الأولى مثلها بحركة العين
- *الثانية تامة خفيفة* : وزنها فعلن و لها ضربان
- *الثالثة مجزوءة صحيحة*: و لها ضرب مجزوء صحيح مثلها
- *العروض الرابعة مجزوءة محذوفة* : وزنها فعل و لها ضرب مجزوء مثلها
- *العروض الخامسة مشطورة* : وزنها فعلي و ضربه مثلها[1]

و ما تجدر الإشارة إليه أيضا أن الشعراء تفننوا في الدوبيت كثيرا و تصرفوا فيه و أطلقوا على كل نوع منه اسما خاصا به كالرباعي الممنطق مثلا و الرباعي المهرفل و الرباعي المرد وف.

هذا فيما يخص مفهوم و أصل الرباعيات أما منشائها فاحتلت روايات عدة لكن جلها تدور حول محور واحد مفاده أن نشأتها تعود إلى طفل كان يمارس لعبة بواسطة حبات الجوز رفقة أصدقائه فتدحرجت حبة جوز بعيدا عن الحفرة المقصودة، فلقط هذا الطفل الفارسي كلاما بلغته الفارسية و معناه باللسان العربي ما يلي :

[1] المرجع نفسه نفس الصفحة ١٢٤

"تتدحرج حتى تهبط إلى قراره الحفرة" و يذكر اللغويون أن ما قاله هذا الطفل هو مصراع شعري يصلح النظم عليه تبناه الشعراء و أضافوا إليه مصراعا آخر ثم أضافوا بيتا أخر فأصبح النظم في النهاية يتألف من أربعة أشطر (مصاريع) فأطلق عليه اسم "الرباعي"[1]

هناك روايات عدة تتعلق بنشأة الرباعيات لكن اكتفيت بواحدة كنموذج .

من كل ما سبق نخلص إلى أن الرباعيات مولدها و منشأها كان في بلاد الفرس حيث ترعرع هذا الفن و أخذ شكله الفني النهائي على يد شعراء الأدب الفارسي ، لكن ما هي المكانة التي يحتلها هذا اللون الشعري في أدبنا العربي ؟

يذهب بعض الباحثين العرب و من بينهم مصطفى عوض كريم إلى أن الرباعيات لم تكن يوما دخيلة على الشعر العربي بل على العكس من ذلك, فهي أصلية فيه و في ذلك يقول :"و لا يغمرنا أدنى شك في أن الرباعيات تطور لفن المزدوجة مثل المثلثات"[2]

لكن على الرغم من هذا الجزم القاطع إلا أننا لا نوافقه في هذا الرأي لأن أقدم ما وصلنا من الشعر العربي هو القصيدة العمودية و سنة الخالق في الحياة تقتضي دائما الانتقال من البسيط إلى المركب و لذلك فالأغلب إلى الظن أن فن الرباعيات، دخيل على الأدب العربي، قادم إليه من الأدب الفارسي.

---

[1] دائرة المعارف الإسلامية ص ٣٠

[2] مصطفى عوض الكريم, فن التوشيح. دار الثقافة –بيروت- الطبعة الثانية عام ١٩٧٤ ص.٤٦

و لعل الدليل الأكبر على هذا الكلام أن أقدم ما وصلنا من الرباعيات مرده إلى العصر العباسي – هذا الأخير الذي وصلت فيه الحضارة العربية الإسلامية إلى مجالات عدة بفضل الأجناس المختلفة التي دخلت الإسلام و من بينهم الفرس الذين لعبوا دورا مهما في بناء هذه الحضارة في مختلف المجالات العلمية و الفنية و لا سيما الأدبية شعرا و نثرا.

و تذكر الكتب، أن أقدم الرباعيات في الشعر العربي وصلتنا هي قصيدة أبي الفرج حسين بن محمد (ت٣٨٥ هـ) التي يقول مطلعها :

الْحُبُّ بَحْرٌ زَاخِرٌ وَ الرَّاكِبُوهُ مُخَاطِرُ
جُنُودُهُ الْمَخَاجِرُ وَ الْحَدَقُ السَّوَاحِرُ[1]

كما يطلق بعض الباحثين على فن الرباعيات مصطلح الشعر الدوري و حجتهم في ذلك أن قوافي الرباعيات متغيرة و متنوعة في القصيدة الواحدة كما تتنوع قوافي أدوار الموشح

و ما يقال عن العصر العباسي يقال عن نظيره الأندلسي حيث عرف أيضا هذا اللون من الشعر، فقد أورد الثعالبي بين مختاراته من الشعر الأندلسي ضمن كتابه يتيمة الدهر إذ يقول الشاعر قائل الشهواني في قصيدة له :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِفِ الْفُؤَادِ مُعْدَبٌ بِالصَّدِّ وَ الْبِعَادِ

[1] ينظر السين في فن التوشيح لمصطفى عوض كريم ص.٤٧ و تنظر القصيدة كاملة في معجم الأدباء الجزء الرابع ص. ٩٥

أَجْفَانُهُ رَقَدَتْ عَلَى السُّهَادِ يَبْكِي بِمَدْمَعِ رَائِحٍ وَ غَادِي[1]

و من خلال ما سبق, نستنتج أن شعراء الأدب العربي قد نظمو الرباعيات في المشرق و المغرب .

[1] تنظر القصيدة في يتيمة النحر للتعالبي, الجزء الثاني,المجلد الأول الطبعة الثانية, دار الفكر بيروت ١٩٣٩/١٩٧٣م ص.١٨,١٩.

الفصل الأول

المرأة في العصور القديمة :

إن المتصفح لكتب التاريخ و الباحث في العصور القديمة السابقة للإسلام يجد أن المرأة عموما و على الرغم من أنها ساهمت مساهمة فعالة في بناء كيان المجتمعات كونها كانت ركنا هاما في بناء ما يسمى بصفح التطور الحضاري للإنسان إلا أنها كانت مهانة تعامل معاملة الرقيق أما أوجه الاختلاف فتكمن في القوانين التي سنها كل مجتمع من المجتمعات القديمة كي تتصرف المرأة حسبها و حسب رغبات و هوى كل مجتمع أما نظرة الرجل إليها فكانت مثل نظرته إلى أي قطعة من أثاث المنزل أو نظرة إلى حيوان أو دابة لا حق لها في شيء مما يتمتع به الرجل من الحرية أو الرأي أو التعلم أو الميراث... إلخ و هذا الدليل على أنانية الرجل و عدم فهمه في تلك العصور الغابرة للوضع الطبيعي الصحيح للمرأة و لمكانتها الحقيقية في المجتمع و رسالتها في الحياة حيث اعتبرت من الممتلكات الخاصة شأنها في ذلك شأن الرقيق إلى درجة أن السيد الإقطاعي كان يحتفظ لنفسه بحق قضاء الليلة الأولى مع العروس لأنه كان يعتبر بكارة فلاحته ملكا له !![1]

و كما أن المرأة ظلت في تلك العصور القديمة سلعة أو جهة مربحة في تجارة الرقيق إلى درجة أن الملوك و الأمراء و الوجهان كانوا يفتنون في قصورهم المئات و بالآلاف من الجواري و الأماء بعد

[1] دحو حسن عبد القادر ، المرأة في الإسلام و في المجتمع العربي الجديد [المجلة المصرية للعلوم السياسية]- العدد السابع عشر أوت سنة ١٩٦٢ ص ٧٥

شرائهن من أسواق النخاسة... و لم تكن المرأة العربية بعيدة عن تلك القيود الصارمة و عن العلاقات التي تحكمها العادات الفاسدة و التقاليد الجاهلية

واقع المرأة في المجتمعات العربية

المرأة العربية قبل ظهور الإسلام : (العصر الجاهلي)

يجمع المؤرخون على أن المرأة قبل الإسلام و في كل المجتمعات تقريبا كانت مهضومة الحقوق عديمة المكانة مسلوبة الحق في الحرية و الإرادة ، بل كانت دون الإنسان العادي في كل حقوقها.

أما المرأة العربية في العصر الجاهلي فقد اختلفت و تضاربت الأقوال حولها فمنهم من قال أن منزلتها كانت منحطة عن منزلة الرجل ، فقد كانت تعيش وضعية مزرية فاقدة لكرامتها كإنسانة ، فالعرب في هذا العصر كانوا لا يورثون النساء، و كان الرجل يعتبر زوجته شيئا من أمتعته يتنازل عنها لغيره إذا أراد بمقابل أو بدونه بإرادتها أو رغما عنها. أما الأرامل فكن إرثا لابن الزوج بالإضافة إلى ذلك كانت تحتقر باعتبارها رمزا للعار و أكبر دليل على ذلك عملية وأد البنات عقب ولادتهن مباشرة مصداقا لقولـــــه تعالى : ***(وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ)*** [1] و الوأد هو قتل للنفس البشرية الذي حرمه الله سبحانه و تعالى بدون حق ، فالرجل الجاهلي كان يفعل ذلك خوفا من العار أولا و تفضيلا للذكر على الأنثى ثانيا باعتبار أن المجتمع الجاهلي كان يقوم على النظام القبلي, و العصبية القبلية هاته لا تكون و لا تقوى إلا

[1] سورة التكوير الآية ٨-٩

بعنصر الرجل لا المرأة فهو الحامي و المدافع عنها بسيفه و لسانه و عكس الأنثى التي تكون عبئا ثقيلا عليها لا غير. هذا ما جعل الجاهلي يخشى كثيرا ولادة الأنثى و بحسب لهذه الولادة ألف حساب مصداق لقوله تعالى : **(وَ إِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَ هُوَ كَظِيمٌ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ، أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ)**[1]

و من هنا يتضح لنا التناقض الشديد الذي كان يعيشه الجاهلي فقد كان و لا شك منصرفا عن الصواب ، فمن جهة كان يكره ميلاد الأنثى و من جهة أخرى كان يحب المرأة كزوجة و كخليلة؟ أو ربما لم يكن حبا بل كان مجرد إعجاب بوصفها أداة اللهو و المتعة و من خلال ما تقدم يتضح لنا جليا اعتداء الجاهلي على المرأة و على حقوقها كإنسانة بدأ بطفولتها. إذ وئدت و هي لا تزال وليدة أو طفلة صغيرة لا تعرف من العيب و العار شيئا ثم حرمها الإرث أختا و أما و سلط عليها شتى أنواع الظلم زوجة و اعتبرها إرثا تورث كالمتاع و البهائم [و لعل أكبر دليل على هذه الحالة المزرية التي عاشتها المرأة آنذاك ما أطلق عليها من أسماء مثل: العتبة, النعل, النعجة... [2] كما أنها كانت تمثل في الحياة الزوجية الطرف المغلوب على أمره و من دون شك أن هذا الوضع الذي آلت إليه الأنثى العربية في شبه الجزيرة العربية قبل ظهور الإسلام كان نتيجة تأثر شديد بمؤثرات إسرائيلية و نصرانية،

---

[1] سورة النحل الآية ٥٨،٥٩.

[2] دكتور سعد عاشور (المرأة و المؤسسات في المضارة العربية) دار المعارف للطباعة و النشر ص ٥

فالمرأة في شريعة إسرائيل كانت ملك لزوجها و له كامل الحق في بيعها أو توريثها و تأجيرها ما يسمى بزواج المتعة [1]

و هناك رأي ثاني يرى عكس ذلك تماما أي أن الرجل لم يستهن أبدا و لم يحقر المرأة فكثير من عرب الجاهلية أحبوا بناتهم و تكنوا بأسمائهم و ورثوهن كما كان هناك منهم من افتخر بنسبه إلى أمه مثل افتخاره بنسبه إلى قبيلته و لنا في ذلك أدلة عدة من بينها:

١- ما جاء في الشعر العربي باعتباره ديوان أخبارهم إذ أن الرجل إذا أراد أن يمدح بالكرم و الشجاعة ما كان عليه إلا مخاطبة المرأة ضنا منه إن هي رضيت عنه فقد رضى عنه الناس جميعا, أما فيما يخص الفخر بالنسب إلى الأم فقد كان معروفا لديهم كي يبين بأنه ينحدر من أصل حر و دمه نقي من هجنة مثل قول المقدام بن زبير بن حولان :

وَ أُمِّي ذَاتُ الْخَيْرِ بِنْتُ رَبِيعَةٍ ضَرِيَّةُ مِنْ عَيْصِ السَّمَاحَةِ وَ الْمَجْدِ [2]

و يقول الشنفرى و هو من عامة الناس

أَنَا ابْنُ خِيَارَ الْحَجْرِ بَيْتاً وَمَنْصِباً وَ أُمِّي ابْنَةُ الْأَحْرَارِ لَوْ تَعْرِفِينَهَا [3]

[1] المرجع السابق ص ١٤
[2] محمد مبروك نافع : تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام الطبعة الثانية سنة ١٩٥٢ ص.١٧٥
[3] المرجع نفسه ص ١٧٦

بل لقد كان من دواعي الفخر و المجد و الاعتزاز أن ينسب الشخص نفسه إلى أمه حتى و إن كان أبوه ملكا و من ذلك قول امرئ القيس :

أَلاَ هَلْ أَتَىنَّهَا وَ الْحَوَادِثُ جَمَّة بِأَنَّ امْرأَ الْقَيْسِ بْنَ تَمْلِكَ بِيقِرَا[1]

فالشاعر يفخر بنسبه لأمة تملك التي غادرت –بيقرت– البادية مهاجرة إلى الحضر

٢– فخر العربي و اعتزازه بأنه المدافع عن النساء و حامي شرفهن الذي هو شرفه قبلهن.

٣– بدأ أغلبية الشعراء قصائدهم بالغزل.

٤– استشارة رب العائلة زوجته و بناته فيمن يأتي إليهن خاطبا – فكثير من عرب الجاهلية أحبوا بناتهم و تكنوا بأسمائهن و ورثوهن و استشاروهن في أمور تزويجهن–[2]

كما لم تخل ساحة شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام من نساء عربيات خلدن أسمائهن في ميادين عدة كالأدب و السياسة و التجارة... و لعل أكبر دليل على مكانة المرأة في المجتمع الجاهلي السيدة خديجة بنت خويلد زوج النبي صلى الله عليه و سلم ، فقد عرفت في ذلك العصر بعظمتها و شخصيتها القوية ، كما أنها لقبت بالطاهرة ، و سيدة قريش و اشتهرت بممارستها للتجارة قبل أن تستعين فذلك بالنبي صلى

[1] المرجع السابق نفسه الصفحة
[2] المرجع نفسه ص ١٧٧

الله عليه و سلم ، و لعل ذلك أكبر دليل على حرية المرأة قبل الإسلام في ممارسة مختلف النشاطات أضف إلى ذلك الخنساء الشاعرة العربية التي كانت محنتها مع الحياة قاسية فأبدعت في البكاء من خلال رثاء أخوتها[1].

و أخيرا لا يمكننا الجزم أي من الرأيين هو الأصح لأن كل فريق منهما يجعلنا نميل إليه كلية ، لكن ما يمكننا قوله أن احترام أو تحقير المرأة لم يكن أمرا عاما عند كافة العرب في العصر الجاهلي و الغالب أن مكانة المرأة العربية قبل الإسلام لم تنحدر إلى المستوى المتدني الذي كانت عليه عند أقوام أخرى كاليهود مثلا ، و في نفس الوقت لم ترتفع إلى المستوى الذي منحه لها الإسلام، بل كان على درجة من الرقي النسبي لم تحضى به نظيرتها في المجتمعات القديمة الأخرى و في ذلك يقول المستشرق تيلكسون في كتابه تاريخ العرب الأدبي : " كانت مكانة المرأة في الحياة الاجتماعية قبل الإسلام على مستوى كبير من العلو و الرفعة ، فقد تمتعت بالحرية في اختيار زوجها و يحق العودة إلى أهلها إذا أساء الزوج معاملتها و ربما كانت العصمة بيدها بمعنى أن حق الطلاق كان لها و بالجملة فقد كانت ندا أو شريكا للرجل أكثر منها مملوكة له أو أسيرة لإرادته"[2].

و من كل ما تقدم نخلص إلى أنه و على الرغم من المكانة التي حضت بها المرأة العربية قبل الإسلام ، فإن الدور الذي نهضت به المرأة بعد هذا الأخير و في ظله كان ضخما ، لكن لا يجب أن نقول

---

[1] سامح كريم ، العقاد في معاركه الأدبية و الفكرية ، دار القلم بيروت ، لبنان ، الطبعة ٠١ ، ص ٥١.
[2] ملاي ملياني بغدادي , حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ص.٨٠.

بأنه كان مفاجئا باستثناء بعض الحقوق و الحقائق ، لأن له جذور ممتدة و ضاربة في ما قبل الإسلام في أعماق المجتمع العربي .

المرأة العربية في عصر الإسلام :

قد جاء الإسلام مثبتا لما أتت به الأديان السابقة مع إدخال بعض التعديلات و الإصلاحات على وضع المرأة ، على الرغم من أن هناك العديد من الآراء الناقدة و القائلة بأن الإسلام لم يأت أبدا لتحرير المرأة و منحها حقوقها و إنما أراد تكبيلها و تقييدها بالواجبات و الالتزامات المفروضة عليها فرضا.

و من دون شك أن هذا الكلام هو افتراء على الدين الإسلامي الحنيف الذي حرر البشرية جمعاء بما فيها من إنسان و كائنات حية أخرى لا علاقة لها بالإنسانية مبينا ما لها و ما عليها من حقوق و واجبات فكيف يظلم المرأة و هي العمود الأول للمجتمع ، إذن فقد حرر الإسلام المرأة من القيود التي كانت تكبلها ، و منحها كل حقوقها و التي رأى طبعا أنها جديرة بها و سواها بالرجل في جميع الحقوق و الواجبات و لاسيما في القيم الإنسانية و الاجتماعية... فكانت الأم و الأخت و الزوجة و البنت، إذا فالإسلام رفع مكانة المرأة عاليا، فكان ذلك تقديرا من الله سبحانه و تعالى لها كإنسان في حين كانت في باقي أنحاء العالم تعتبر حيوانا أو شيطانا [1]، لا إنسانا له حقوق مثلها مثل الرجل بل أحيانا أفضل منه مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه

[1] مولاي ملياني بغدادي ، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ، قصر الكتاب ، البليدة (الجزائر) ، طبعة سنة ١٩٩٧ ، ص ٨٧.

و سلم: " سَوُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ فِي الْعَطِيَّةِ ، فَلَوْ كُنْتُ مُفَضِلاً أَحَدًا لَفَضَلْتُ النِسَاءَ"[1].

و معنى الحديث الشريف أن الإسلام قد حرر المرأة بل أكثر من ذلك قد سوى بينها و بين الرجل أما إذا وجد تفضيلا بينهما فإنه يفضل المرأة على الرجل ، لأن الإسلام يرى استحالة أن يكون المجتمع الإسلامي خير أمة أخرجت للناس و المرأة تتخبط في تلك الوضعية التي كانت عليها قبل ظهور هذا الدين الحنيف ،و لذلك كان الرسول صلى الله عليه و سلم يحث على إكرام النساء و حسن معاملتهن لدرجة أن من يفعل لك يدخل الجنة فيقول عليه خير الصلوات و أفضل التسليم: " مَنْ عَالَ ثَلَاثَ بَنَاتٍ أَوْ ثَلَاثَ أَخَوَاتٍ وَ جَبَتْ لَه الْجَنَّة "[2].

و هكذا انتقلت المرأة من العبودية و الاسترقاق و الذل و الظلم و الحرمان... إلى مكانة مرموقة تحضى فيها بالاحترام و التقدير لها كامل الحقوق تقوم مقابلها بواجبات فرضها عليها ، فمنذ اللحظة الأولى لميلاده احتلت هذه الأخيرة مكانتها في فكر الديانة الجديدة و لعل أكبر دليل على ذلك أنه كان لها بيعة مثل بيعة الرجل مصداقا لقوله عز من قائل : " يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَ لَا يَسْرِقْنَ وَ لَا يَزْنِينَ وَ لَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَ لَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَ أَرْجُلِهِنَّ ، وَ لَا

---

[1] رواه الطبري.
[2] حديث شريف

يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَ اسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ ، إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ"[1].

إذن الإسلام منح المرأة المسلمة حقوقا لم تتمتع بها من قبل لذلك عليها أن تعمل ما في وسعها للمحافظة عليها وعي الواردة في أحكام الشريعة الإسلامية دون التفريط في جزء و لو يسيرا منها لأن التنازل مرة عن القليل يؤدي إلى التنازل مرات على الكثير و هكذا ...

١- ***حرر الإسلام المرأة في العادات الجاهلية الفاسدة*** :

فكما سبق و ذكرنا فالإسلام رفع المرأة إلى المكانة اللائقة بها مانعا عنها كل إهانة رافعا إياها إلى المقام اللائق ة ذلك من خلال :

* ***تحريم الإسلام وأد البنات*** : كان لدى بعض العرب قبل الإسلام عادة قبيحـــة من بينها وأد البنات فجاء الإسلام و حرم هذا القتل و أعطى البنات حق العيش و الحياة ثم رفع من مكانتهن وقدرهن جاعلا إياهن في المقام اللائق بهن إذ حث الرجال على احترام النساء و تقديرهن مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه و سلم : " ***النِّسَاءُ شَقَائِقُ الرِّجَالِ*** "[2]، و كذا قوله صلى الله عليه و سلم : "***اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا فَإِنَّهُنَّ عَوَانٌ لَكُمْ*** ، و قوله أيضا : " ***اتَّقُوا اللَّهَ فِي الضَّعِيفَيْنِ*** "[3]

---

[1] سورة الممتحنة ، الآية ١٢.

[2] رواه أبو داوود و أحمد

[3] (الضعيفان : هما المرأة و اليتيم)

إذن بفضل الإسلام انتقلت المرأة من وضعية القتل لتتمتع بالحياة في مكانة عالية و مرموقة و أصبحت نفسها عالية مساوية لنفس الناس جميعا لا سيما أن الله سبحانه و تعالى قد أعد لقاتل النفس البشرية بدون حق عذابا شديدا يوم القيامة ، إذ قال عز و جل : " وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا "[1].

يستخلص من هذه الآية الكريمة أ الله سبحانه و تعالى ساوى بين المرأة و الرجل في الحياة و الممات ، و كذلك أعد لكل من الذكر و الأنثى نفس العقوبة في حالة الاعتداء على النفس البشرية مصداقا لقوله تعالى : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَ الْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَ الْأُنْثَى بِالْأُنْثَى"[2]، إذن الإسلام أنقذ المرأة من القتل و الوأد و شرع لها حقوقا كاملة في الحياة و في العيش الكريم .

* ***أعطى الإسلام المرأة حقها في الإرث و نظم الميراث*** :من العادات التي اشتهر بها العرب في العصر الجاهلي أنهم كانوا لا يورثون النساء و لا الأطفال من أبناء الميت و إنما يورثون فقط من يستطيع أن يواجه الأعداء و يقاتل في لحروب و الغزوات مدافعا على القبيلة ، و ربما ذلك ليس في مقدور لا النساء و لا الصبيان فكانوا لا يورثونهم أبدا إلى أن جاء ديننا الحنيف و أعطى لكل ذي حق حقه ، فشرع للمرأة حقها في الميراث مبينا إياه بالتفصيل سواء كانت أما أو زوجة أو بنتا أو أختا فقال عز

[1] سورة النساء ، الآية ٩٣-٩٤
[2] سورة البقرة ، الآية ١٧٨

من قائل : " للرجال نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون و للنساء نصيب مما ترك الوالدان و الأقربون مما قل منه أو كثر نصيبا مفروضا"[1] و من هنا نحدد نصيب المرأة في الميراث بعد أن كان حقها في الإرث غير ثابت و ربما غير معترف به كلية ، و أصبحت لها حرية التصرف فيه كيف و متى شاءت دون أي تدخل من زوجها و أبيها إلا إذا تنازلت هي و بكامل إرادتها عن بعض منه ، فالإسلام حرم تحريما مطلقا أخذ أموال الزوجة بالقوة و الإكراه ، كما يفعل ذلك بعض الرجال في إكراه زوجاتهم للتخلي عن بعض مالهن في مقابل إخلاء سبيلهن ، فقال الله تعالى في محكم تنزيله : " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَ لَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَ عَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَ إِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا وَ إِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَ آتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا، أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَ إِثْمًا مُبِينًا "[2].

كما أوجب الإسلام على الزوج الإنفاق على زوجته حتى و لو كانت ميسورة الحال و قادرة على الإنفاق على نفسها .

**** فرض الإسلام على الرجل أن يعامل امرأته بالعطف و الحنان و أن يعاشرها بالمعروف و أن يفارقها بالمعروف*** :أما فيما يخص الطلاق فقد أباحه الإسلام و هو أبغض الحلال عند الله

---

[1] سورة النساء ، الآية ٧.
[2] سورة النساء الآية ١٩-٢٠.

و لكن بشروط و كما سبق و ذكرنا فلا يحق للزوج إذا ما طلق زوجته أن يأخذ من مالها شيئا أو يطالبها بما سبق و قدمه لها كمهر أو هدايا، أما فيما يخص العصمة فقد جعلها الله سبحانه و تعالى بيد الرجل لأن المرأة سريعة الغضب و الانفعال لأتفه الأسباب و لا تستطيع التحكم في تصرفاتها في أغلب الأحيان لكن هذا لا يعني أن الدين الإسلامي قد حرم على أن تكون العصمة بيد المرأة لو اشترطت على الرجل ذلك في عقد الزواج و تم الاتفاق بينهما على ذلك[1] دون أن نغفل أو ننسى أن الإسلام اشترط في صحة عقد الزواج رضى العروس و هذا إن دل على شيء إنما يدل دلالة قاطعة على الاعتراف بحق المرأة في اختيار شريك حياتها و اعتراف بحريتها .

* حرم الإسلام الزواج الفاسد و حرم كل علاقة شائنة للمرأة

*نظم الإسلام تعدد الزوجات و حد من حرية الزوج في الطلاق

* أعطى الإسلام المرأة حق طلب الطلاق.

*حرم الإسلام زواج المتعة و كل علاقة تنقص من قيمة المرأة.

إذن هذه بعض الحقوق التي أعطاها الإسلام للمرأة و ذكرناها على سبيل المثال لا الحصر لأننا لو أردنا ذلك لما كفتنا في ذلك مجلدات عدة ، و إنما أردنا توضيح الوضعية الجديدة التي تمتعت بها المرأة العربية المسلمة بعد مجيء الرسول صلى الله عليه و سلم

[1] مولاي ملياني بغدادي ، حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية ، ص ١٠٣.

و من كل ما تقدم نخلص إلى أن جواء ما قبل الإسلام كانت معروفة من أبسط الحقوق فلا حق لها في الحياة و لا في الإرث و لا في طلب الطلاق و الانفصال عن الزوج ، بل كان لهذا الأخير كامل الحقوق عليها و حتى إن طلقها تبقى تابعة له و لا يحق لها أحيانا الزواج بغيره إلا إذا أذن لها هو و هذا أكبر دليل على أبشع مظاهر الظلم و الاحتقار الذين عانت منهما المرأة العربية قبل الإسلام إلى أن جاء هذا الدين الحنيف و هي لا تزال على هذا الحال إلا ناذرا و عند البعض فأعطاها حقوقها كاملة دون أن تطالب هي بها بل كانت منحة و هبة من عند الله عز و جل لها ، و يكفينا تمعنا في القرآن الكريم لنجد أن المرأة محور سورة النساء ، البقرة ، المائدة ، الأحزاب ، الإسراء ، الطلاق ، النور ، الأنعام ، و سواها ، و خلاصة القول أن الإسلام هو الدين الذي رفع من قدر المرأة بل هو الدين الأوحد الذي عني بها دون جميع الأديان.

المرأة في العصر العباسي :

يظهر جليا من خلال توالي سور القرآن الكريم و آياته أن المرأة ارتفع قدرها في الإسلام عما قبله، و لدى الأمم السابقة، و إن بقيت على العموم أقل من الرجل بسبب انكفائها على الحياة العائلية و الاجتماعية... و لكن بمرور الزمن و توالي العصور بدأت حياة المرأة تتغير و تتأرجح ، فإذا ما جئنا إلى المجتمع العباسي نجده قد زاد على المجتمعات العربية الأخرى كثافة نتيجة الامتزاج بين الأمم لا سيما الفرس ، ... فظهرت في هذا المجتمع المرأة الأعجمية أمثال:

"الخيزران أم موسى الهادي" التي استطالت في السيطرة على شؤون ولدها ، كما نجد : " أم المقتدر" التي ساست أمور الدولة ، و كان ولدها ظلها [1].

و بما أن العصر العباسي قد عرفت فيه قصور الخلفاء العباسين حياة اجتماعية صاخبة كان لازما أن يكون للمرأة آنذاك دورًا كبيرً لا سيما في مجالس الرقص و الغناء ، و ما تجدر الإشارة إليه أن هذا العصر الذي شاعت فيه المرأة ألوانا متعددة من الفن و الثقافة و قد تفننت النساء داخل القصور في اختيار أزيائهن الثمينة ذات الألوان المتباينة المحلاة بخيوط الذهب و بالجواهر...فكان بذلك هذا العصر عصر الحضارة لم تصل إلى درجتها المرأة العربية الحرة و يكفينا في ذلك أن نسمع مثال عليه بنت المهدي تضرب على العود و تنشد الغزل فإنها لم تصل إلى مرتبة عنان الناطفية التي كانت تجالس أبا نواس و مسلم بن الوليد... إلا أن هؤلاء الجواري كن بمثابة معلمات لسواهن في مجال الهنـــــدام، و الكتابة و الشعر و بنسق البيوت و مختلف شؤون الحياة و بسبب ذلك راجع لأنهن عشن وسط أمم فاقت مدنية و تحضرا على ما للعرب أو ربما أنهن تربين في دور أنشئت خصيصا لتثقيف و تعليم الجواري و يحضرنا هنا ذكر إبراهيم الموصلي مغني هارون الرشيد، فقد كان ألمع شخصية في تعليم الجواري و تثقيفهن في مختلف الألوان و الأجناس... و من ثمة فإن

[1] أحمد أمين ، ضحى الإسلام ، ج٣ ، القاهرة ، لجنة التأليف و الترجمة و النشر ، ١٩٣٣-١٩٣٦ ، ص ٩٩.

دمر الجارية المثقفة كان يزيد أضعافا على ثمن الجارية التي لها حسن المنظر فقط .

أما المرأة العربية الحرة ظلت بعيدة ما أمكن عن احتراف الرقص و الغناء رافضة النزول إلى مستوى الجواري من غير العربيات ، معتزة بشرفها فخورة أيما فخر بعفتها ..و لأجل ذلك فإن النساء الحرائر في المجتمع العباسي ففن بكثير من الإيماء في مجال الثقافة الدينية و بعض العلوم كالفقه و الحديث و التصوف مثل: " أم الفتح بنت القاضي أبي بكر كامل بن سحرة " (ت ٣٩٠) حيث أخذ عنها الكثير من العلماء و المحدثين ، "و الواعضة البغدادية " الذائعة الصيت وميمونة بنت ساقولة " [١].

لكن على الرغم مما وصلت إليه المرأة العباسية من تقدم و ما بلغته من حضارة في عصرها إلا أن التاريخ لم يذكر لنا و لو امرأة واحدة حكمت إمبراطورية بنوا عباس أو وصلت إلى درجة عالية في علم من العلوم كالطب و الفلسفة أو الأدب ... و لذا فإن قول ابن رشد في الطبيعيات أنها لم تقم بجلائل الأعمال و إن حياتها تسري كحياة النبات و تواصل عيشا في ظل الرجل على الرغم من أن عددهن يفوق عدد الرجال[٢] و هكذا فإن المرأة العربية في العصر العباسي تتصدى لأخطر المناصب الدينية في تطور الإسلام غير أن أبا حنيفة و ابن جرير الطبري قد جوزوا للمرأة أن تشتغل بالقضاء و الفتاوى ، فكان ما قاله الشاعر أبي بسام :

---

[1] تاريخ المرأة العربية و النظام الأبوي ، ص ٢٨

[2] المرجع السابق ، ص ٣١

مَا لِلنِّسَاءِ وَ الْكِتَابَـةِ وَ الْعِمَالَةِ وَ الْخِطَابَةْ
، هَذَا لَنَا ، وَ لَهُنَّ مِنَّا أَنْ يَتَهَيَّنَ عَلَى حَيَاتِهِ[1]

و على الرغم من أن أبا العلاء المعري رفض الحياة و النسل إلا أنه لم يرض المتزوجين إلا بالواحدة حيث قال :

مَتَى تُشْرِكْ مَعَ امْرَأَةٍ سِوَاهَا فَقَدْ أَخْطَأْتَ فِي الرَّأْيِ التَّرِيكِ
فَلَوْ يُرْجَى مَعَ شُرَكَاءِ خَيْرٌ لَمَا كَانَ الإِلَهُ بِلا شَرِيكِ

أما خلفاء هذه الفترة كانوا جميعا أبناء جواري صقليات و لغلبت المملوكات على الخلفاء سميت زوجة كل منهم بالحرة أما الشعراء العباسيون فقلما تغزل بحرة و خير أمثلة على ذلك أبو نواس الذي لم يذكر أبدا اسم عربية حرة في أشعاره و غيره كثيرون و لعل ذلك راجع لكثرة الجواري و العلماء في ذلك العصر نتيجة امتزاج الأجناس الأخرى بالجنس العربي نظرا للاختلاط و تزاوج الثقافات.

المرأة في المجتمع الأندلسي :

لقد تمتعت المرأة في العصر الأندلسي بقسط كبير من الحرية و النفوذ لم تعرفها بغداد في أوج ازدهارها و ذلك راجع إلى سببين رئيسيين هما :

[1] المرجع نفسه ، ص ٢٨

أولا :احتكاك المرأة في المجتمع الأندلسي بالشعوب الأوروبية التي كان لها تأثير في هذا المجتمع الناشئ ببعض خصائصها و لا سيما حينما تمثنت العلاقات و قوت الروابط بين العرب و نصارى الأندلس نتيجة المصاهرة و التحالف [1]

ثانيا: امتزاج أمم المجتمع الأندلسي بالبربر و هم سكان شمال إفريقيا القدامى ، و كانت للمرأة في مجتمعاتهم تحتل مكانة تختلف كلية عن مكانتها في المجتمع العربي حيث اتخذوا البربر من الأم رأسا للأسرة و انسبوا إليها أبنائها بدلا من انتسابهم إلى الأب .. و نفي هذا النظام متبعا عند هذه الشعوب الحامية حتى بعد تعربها فكانت المرأة تحتل المرتبة الأولى في مجتمعهم [2].

كما أقر بعض المستشرقين في دراسات لهم حول وضع المرأة العربية في المجتمع الأندلسي أنها كانت أكثر تحررا عما كانت عليه نظيراتها في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية العظمى ، و من بين هؤلاء هناك المستشرق "البارون فوك شاك" يقول في كتابه "شعر العرب و فنهم في إسبانيا و صقلية " : " إن وضع المرأة في إسبانيا كان أكثر تحررا عما كانت عليه في بقية الشعوب الإسلامية الأخرى، فأسهمت بجهدها في كل ألوان الثقافة المعروفة على أيامها و ليس بقليل عد أولئك اللائى بلغن في إسبانيا احتراما لم تعرفه المرأة أبدا في المشرق الإسلامي "[3].

---

[1] د.عبد المجيد عابدين ، دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسي ، ص ١٠٤، دار الكتاب بيروت ، دط

[2] سعد بوفلاقة ، الشعر النسوي الأندلسي أغراضه و خصائصه الفنية ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائر ، ١٩٩٥ ، ص ٢٦

[3] المرجع نفسه ، ص ٢٧

أما تعليم المرأة في المجتمع الأندلسي فكان أمرا مألوفا فقد كان الأندلسيون يبعثون بناتهم إلى المدارس الأولية منذ الصغر بغية تعلم نفس المواد التي يتعلمها الصبيان عادة حتى أن البعض منهن واصلن تعليمهن العالي و تحصلن على شهادات كالتي تحصل عليها الذكور ن و ما تجدر الإشارة إليه أيضا أن طموحاتهن لم تقف عند دراسة داخل البلد الأم فحسب بل البعض منهن رحلن إلى الخارج كخديجة بنت أبي محمد عبد الله الشنتيجبالي التي رافقت أباها إلى مكة و حضرت معه نفس الدروس التي حضرها هو ... و غيرها كثيرات [1].

و كان بعض الأمراء و الرجال و الأعيان يحضرون لبناتهم معلمات يدرسنهن الفقه وعلوم الدين و الثقافة الأدبية كالشاعرتين مريم بنت أبي يعقوب، و حفصة بنت الحاج الركونية التي كانت معلمة لبنات المنصور سلطان الموحدين [2].

و لعل كثرة الشاعرات الأندلسيات قياسا مع نظيراتهن في المشرق العربي لدلالة واضحة على أن نصيب الأولى من العلم و المعرفة و حرية التحرك كان أكبر من نصيب الثانية لدرجة أنه كان لبعضهن منتديات أدبية يؤمها الرجال و النساء و هذا يعبر أصدق تعبير عن حرية المرأة الأندلسية وعن المكانة التي وصلت إليها حتى أن هناك من حققت امتيازا في ميدان العلم و السياسة و الأدب و الموسيقى ، و نذكر من اللائى كان لهن نفوذا سياسياً واضح آنذاك أم المؤيد إذ

---

[1] المرجع السابق ، ص ٢٧

[2] لسان الدين بن المطيب ، الإحاطة في أخبر غرناطة ، تحقيق محمد عبد الله عنان ، در المعارف بمصر ، دط ، ص ٥٠١.

كان لها من النفوذ في أيام زوجها الحكم ما جعلها تتدخل في شؤون الدولة على الرغم من القوة و العظمة التي كان يتمتع بها بهما [1].

و ذكر المراكشي في كتابه المعجب أنه كان بقرطبة وحدها مائة و سبعون امرأة يكتبن القرآن بالخط الكوفي ، و بعضهن كن يروين الحديث كغالبة بنت محمد المعلمة و فاطمة بنت يحيى بن يوسف المحامي أخت الفقيه يوسف بن يحيى المحامي التي كانت خيرة فاظلة عالمة وفقيهة [2].

و الحديث عن وضع المرأة الأندلسية في مجتمعها يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الجواري اللائى سيطرن على قلوب أسيادهن حيث فرضن عليهن احترامهن و تقديرهن و من بينهن "الزهراء" خطيبة عبد الناصر الذي بنى مدينة الزهراء و سماها باسمها و نقش صورتها على الباب و جعلها متنزها له و لحاشيته و غيرها كثيرات ..[3]و أخيرا ما يمكن قوله عن المرأة الأندلسية أنها قد وصلت إلى درجة عالية من الترفع و التصنع كما قال بن زيدون عن ولادة :

أَرْخَصَتْنِي مِنْ بَعْدِ مَا أَغْلَيْتِنِي وَ حَطَطْتِنِي مِنْ بَعْدِ مَا أَعْيَيْتِنِي،
كُنْتِ الْمُنَى فَأَدَقْتِنِي غُصَصَ الْأَذَى يَا لَيْتَنِي مَا فُهْتُ فِيكِ بِلَيْتَنِي [4]

[1] د.إحسان عباس ، تاريخ الأدب الأندلسي عصر السيادة ذ.ت.ط ، ص٢٥.
[2] سعد بوفلاقة ، الشعر النسوي في الادب الأندلسي ، ص ٢٨-٢٩
[3] أحمد أمين ، ظهر الإسلام ، ج٣ ، دار الكتاب العربي ، ص ٣٢
[4] ابن زيدون ، الديوان ، تحقيق علي عبد العظيم ، طبعة مصر ١٩٥٧ ص ١٨١

و هكذا احتلت المرأة العربية في المجتمع الأندلسي مكانة بارزة و مرموقة فكانت أستاذة فقهية نحوية ، خطاطة ، عالمة و راوية للحديث ...بل تعد هذه المجالات و تغلغل نفوذها إلى المجال السياسي .

المرأة في العصر الحديث :

على الرغم من أن الإسلام قد منح المرأة حريتها و حفظ لها جميع حقوقها مدنية كانت أو سياسية أو اجتماعية و على الرغم من أن بعض النساء المسلمات الفضليات قد وصلت في القرون الأولى للإسلام إلى قمة المجد و العظمة في مجالات مختلفة كالدين و العلم و السياسة... إلا أن الأمة الإسلامية ظلت طوال تاريخها حتى عهد قريب جدا لا تعطى المرأة كل ما تستحقه من اهتـــــمام بل و ظلت العادات و التقاليد البالية القديمة المنافية لروح الكتاب المنزل و السنة الشريفة هي الطاغية و السائدة في المجتمع الإسلامي ، تلك التقاليد التي تفرض الحجاب على المرأة و تحرمها حتى من أبسط حقوقها كالتعليم و العمل خارج المنزل ، كالإشتغال بالسياسة أو الشؤون العامة إلا أولئك الفلاحات في القرى و البائعات المتجولات في المدن .

أما نساء الحكام و الأسر الميسورة المثقفة فقد حرم عليهن المجتمع الظهور في الأماكن الشاغرة بالرجال أو الاندماج في الأعمال و المناصب ...فإذا ما حدث و خالفت إحداهن هذا القانون اعتبرت

شادة و خارجة عن العرف و التقاليد و استحقت سخط و غضب الله و احتقار المجتمع [1].

و قد ظلت المرأة العربية تعيش في هذه الحالة المزرية قرونا و كان الحال يشتد سوءا كلما ساد الظلام و الجهل و الظلم بشتى أنواعه الاجتماعي و السياسي ...لكن هذا الظلم و التعسف الذي حرم الأمة العربية نصف أعضائها من الإناث أكانت له نهاية ، لا سيما في أواخر القرن التاسع عشر ، إذ قامت نهظة نسائية عامة تزعم حركتها في مصر قاسم أمين فدعى إلى السفور باعتبار الحجاب عقبة كبيرة تعيق تقدم المرأة و بالتالي تقدم الأمة و تطورها. فكان بذلك منارا اهتدى به عدد لا بأس به من المثقفين و التقدميين الوافدين من أوروبا بعد الدراسات العليا التي قاموا بها في مختلف العلوم كالآداب و الفلسفة و القانون و الاقتصاد و الدين ، فهؤلاء كانوا يفهمون روح الإسلام فهما صحيحا و من بينهم أحمد لطفي السيد و طه حسين و محمد حسين هيكل و غيرهم ...و بعدها ظهرت أول زعيمة للحركة النسائية في مصر و هي السيدة هدى الشعراوي و من تم تألفت الجمعيات و الأحزاب السياسية المشاركة في الحركة الوطنية و الخدمة الاجتماعية و النهضة التعليمية و الثقافية و الصحفية و الخدمة العامة في شتى الميادين ...و بذلك انتشرت هذه النهضة السياسية في البلدان العربية الأخرى و كلن لهذه النهضة نتيجة حتمية في الوطن العربي ألا و هي التوسع الملحوظ لتعليم البنات بجميع مراحل و مختلف أطواره ،

[1] المجلة المصرية للعلوم السياسية ، المرأة في الإسلام و في المجتمع العربي ، ص ٨٦.

فأصبحن يتلقين العلم جنبا إلى جنب مع الطلاب الذكور، و تحصلت بذلك الطالبات العربيات على كثير من البعثات العلمية إلى البلاد الأجنبية ، الأوروبية و الأمريكية فأصبح المجتمع العربي مجتمعا جديدا و أصبحت المرأة فيه تحتل مكانة مرموقة إلى درجة أنها أصبحت منافسة للرجل بل تفوقت عليه في كثير من الميادين ...فأصبحت تظهر في كل الميادين تقريبا كالصحافة، الإذاعة، التلفزيون، المحاماة، التعليم، الطب، و برزت في ذلك سيدات قاضيات أما الآن فتعمل في هذه الميادين الآلاف بل الملايين من الآنسات و السيدات الجامعيات و غيرهن [1].

و ما تجدر الإشارة إليه أيضا أن هناك في العصر الحديث من الفتيات العربيات من تشتغل بالأبحاث العلمية و أبحاث الذرة ، كما دخلت المرأة العربية في الفترة الأخيرة ميدان الصناعة كعاملة و مهندسة سواء الصناعات الخفيفة كالغزل و النسيج ..أو الصناعات الثقيلة كالحديد الصلب و صناعة الآلات و الأجهزة الإلكترو منزلية و مما لا شك فيه أن هذه النهضة النسائية الجديدة في المجتمع العربي قد أعطت المجتمع و الأمة العربية فائدة عظمى وعلى سبيل المثال لا الحصر قد تربى على يدها جيل من أبناء و بنات ، هذه الأمة أكثر فهما و وعيا و إدراكا للحياة و المسؤوليات الفردية و الاجتماعية و الوطنية و حتى القومية....

[1] المصدر السابق ، ص ٢٧

و عليه فإن المرأة العربية تقوم بوظيفتها كاملة في بناء المجتمع العربي جنبا إلى جنب مع أخيها الرجل، بعدما كان هذا المجتمع يقف مائلا على قدم واحدة . و لكن هذا يقودنا إلى الفهم بأن المجتمع العربي بجميع طبقاته الاجتماعية قد قبل وحدة بفكرة التطور كما لايفهم منه أن هذا التطور قد انحصر في طبقات معينة، بل شمل جميع الطبقات و على قدر محدود في حين لم يزل القسم الأكبر من هذا المجتمع العربي يصنع قيود التقليد تحت لواء عادات الدين و لكن هذا الأخير برئ منها [1].

و ما تجدر الإشارة إليه أن التعبير الذي طرأ على حياة المرأة قد أساء نوعا ما إلى الحياة المنزلية، ففي رأي البعض هذا التغيير قد حرمها من نعم كثيرة... كما أنها قد أساءت إلى نفسها بيدها من نعومتها و خصبتها ، و قد يذهب أصحاب هذا الرأي إلى أكثر من هذا إلى درجة القول بأنه إذا ما استمرت المرأة على حالها هذا قد تسير أنوثتها لا محالة إلى ما هو أخطر من الرجولة إذ يقول الفيلسوف الأمريكي ويل ديوارنت " فلا يلبث العالم أن يرى المرأة المتعددة الأزواج ، و سيجمع النساء ذوات الجاه و السلطان حريما من الرجال ..." [2].

لكن هذا لا يمنع من الاعتراف بالمكاسب التي يتحصل عليها المجتمع من خلال مشاركة المرأة للرجل في مختلف الميادين و مساهمتها في بناءه كما أنه ليس بالضرورة أن إدماج المرأة في

---

[1] المجاهد الثقافي ، المرأة العربية و دورها في المجتمع العربي ، ص ٣٤.

[2] عبد الرحمان بن العقون : مجلة الثقافة – المرأة المعصرية و المجتمع, وزارة الإعلام و الثقافة. الجزائر. السنة العاشرة : العدد ٥٧ جمادى الثانية ١٤٠٠ ماي ١٩٨٠م.

الحياة العامة المزدوجة بالمسؤوليات و المشقات تتعارض و قيامها بواجباتها المنزلية لكن ذلك يكسبها لونا من التحسن الفكري و الجسدي يعود بالفائدة على نشاطها المنزلي بإعتبار البيت هو الوحدة الصغرى و الأساسية التي تتألف منها المجتمعات. لذلك نجد أن الخسائر الناتجة طفيفة بالنسبة للمكاسب المحققة.

و توصف المرأة العربية اليوم العاملة خارج البيت بالمرأة العصرية و تقول في ذلك الكاتبة أمينة سعيد : " أن المرأة العصرية تمثل امرأتين لا غير امرأة خاضعة خضوع العبد لسيدها الزوج و امرأة مسترجلة استهترت بما أقامه المجتمع من تقاليد و تحلت إلى جانب التمرد على العوائد و حتى على الأخلاق الفاصلة "[1].

و المفهوم من قولها هذا أن المرأة العربية المعاصرة تمثل نوعين من النساء واحدة تربت في قيود الجهل وراء أسوار الحريم و الثانية خشنة الطبع مسترجلة, متعدية القوانين التي رسمها المجتمع لها. لكن أن نجد بين هذه وتلك امرأة تعتز بأنوثتها المستنيرة و التي لا تحول ثقافتها مهما كانت عالية دون ذلك و التي لم نأخذ تحررها من قيود الجهل و العبودية عن فطرتها السليمة .

انعكاس هذا الواقع النسوي في الذاكرة العربية :

بعدما ما تتبعنا مكانة المرأة في بعض العصور بدأ بالعصر الجاهلي و وصولا إلى العصر الحديث فإن السؤال الذي يفرض نفسه

[1] المرجع السابق ص ٦٨-٦٩.

علينا بإلحاح إلى أي مدى انعكس هذا الواقع النسوي في الذاكرة العربية.

من دون شك أن التداول اليومي للأمثال الشعبية التي تكشف بوضوح عن تطور الكائن النسوي إذ أنها تبين لنا المكانة الممنوحة للنساء و التخوف الذي تجلبه هؤلاء النسوة للمجتمع الذي تعشن فيه لأنهن قد يسببن مشاكل للعائلة من خلال الإساءة إلى شرف الأب و الإخوة و هي بعبارة أبسط موضوع فتنة قادرات على زعزعة النظام الاجتماعي. ففي العرف الشعبي إذا قلنا المنزل أو الدار فإننا نقصد كل ما فيه من النساء لذلك فمنذ الصغر يستلزم على الفتاة أن تدرك الحدود التي لا يجوز تخطيها.

فالترسبات القديمة للعادات و التقاليد تفرض على المرأة أوضاعا خاصة ترث فيه أدوارها الإجتماعية عن أمها و هي رهينة المنزل و أعماله. لا تغادره إلا للضرورة عكس الرجل الذي يكون الشارع إقليمه الخاص منذ طفولته. فيه ينشأ وينمو ويقضي معظم مراحل حياته أو كما يقال البيت مملكة المرأة والمجتمع مملكة الرجل وبذلك تكون الأنثى منفصلة عن عالم الرجال وهذه قاعدة لايمكن تخطيها بأوامر مفروضة من قبل الأب, الأخ والأم حتى تكون قاعدة محترمة ومطبقة دائما.

وعلى الرغم من أن عالم اليوم غير عالم الأمس، ويفضل التربية والتعليم والعمل تبدلت نوعا ما أحوالها لكن هذا التغيير لم يكن تغيرا

حقيقيا بالمضمون "وإنما كان أقرب إلى التغير المظهري الشكلي مع استمرار بقايا ثقافية وتقاليد الأسرة العشرية والأسرة الممتدة "[1]

وعليه فالحشمة، الطاعة و الشطارة وغيرها من السمات المراد طبعها وترسيخها في نفسية الفتاة كي تصبح مستقبلا امرأة محترمة وهذه المعرفة تنتقل إلى الفتاة عبر الأم أولا و عبر نساء المحيط الذي تعيش فيه و الذي وضع قواعده النظام الذكوري حتى يكون للمرأة حق في الاحترام و حتى يضمن اندماجها و قبولها الاجتماعي لابد أن تخضع خضوعا تاما لتلك القوانين الأساسية المتعلقة بالانفصال الجنسي و الإقليمي، فالنساء لهن الحق في عبور الشارع و الطرقات في أوقات العمل أو أوقات الدراسة, لكن قصد هذه الممرات من أجل التنزه أو الترفيه عن النفس أمر مرفوض تماما و لا نقاش فيه[2].

و لعل الهدف من كل هذه الأحكام المفروضة على المرأة من قبل المجتمع نتيجة الترسبات الآتية من الزمن البعيد هو المراقبة الاجتماعية للجسد و الجنس النسوي لا غير.

و عليه فإن هذا الصراع الإيديولوجي لا يزال مستمرا مند القدم إلى حد الساعة متجسدا في العادات و التقاليد المفروضة على المرأة سواء من قبل الأسرة أو من قبل المجتمع.

[1] المستقبل العربي: المرأة العربية بين التقليد والتحديد ، عبد القادر عرابي ص ٥١
[2]

الفصل الثاني

الجزء الأول

تمهيـــــد :

إن أدبنا العربي على امتداد قرون متطاولة حافل بالكنوز الثمينة و الدرر الكامنة تنتظر دائما من يجلوها و يعرضها مشرقة ومضيئة, نابضة بالحس الحضاري و الوجدان الإنساني اللذين اتسمت بهما خلال هذه المسيرة الطويلة الممتلئة. و المرأة من هذه الكنوز و عبد الرحمان المجذوب من الذين لهم مواقف عدة اتجاه نصف المجتمع. و ما قاله هذا الشاعر عن المرأة بدل دلالة قاطعة على أنه وصفها بوضوح, أو أنه عرف العديد من النساء, ولم تكن علاقته بهن علاقة الشاعر الأديب بالمرأة كعلاقة عالم يدرس حالة معنية, وإنما كانت علاقة الرجل بالمرأة أي علاقة المحب العاشق الذي عرف قلبه آلام البكاء و لسعة الحرمات. و أصابه مكر و خداع هذا المخلوق اللطيف و هذا ما جسده في رباعياته.

صورة المرأة في الأشكال الأدبية :

تحتل المرأة العربية مكانة مرموقة في النتاج الثقافي العربي سواء الرسمي أو الشعبي، فمن دون شك أنها كانت و لا تزال سر إلهام الكثير من الأدباء، فكل صورها حسب الوضع الذي يراه فيها، فنجد من هو سعيد متفائل بها و نجد من هو ناقم عليها متشائم منها و لأجل ذلك فقد كـانت و لا تزال محور التفكير عند الرجل و ملهمة الشعراء و الفنانين إلى درجة أن الحديث عنها يكتر في الأشكال الأدبية المختلفة و يتفق هؤلاء جميعا على أن المرأة كائن ضعيف تلجأ في أغلب الأحيان إلى التعامل بعواطفها و شعورها و نادرا ما تحكم العقل و المنطق في الحكم على الأشياء و زمام الأمور و لأجل ذلك فالمرأة تحتل صورا مختلفة في هذه الأشكال الأدبية المتنوعة كالشعر, الرواية, المسرح و الأغنية.

صورة المرأة العربية في الشعر :

لقد أكسبت المرأة في الشعر العربي قديمه وحديثه أهمية كبيرة، إذا كانت دائمة الحضور بمختلف أشكالها، وحتى عند بعض الذين حاولوا أن ينظروا إليها كإنسان له جسد وعواطف لم يخرجوا في بعض أشعارهم عن المثالية المفرطة في النظر إليها أو التدني المفرط والمتمثل في المومس أو البغي .

والعملية الإبداعية ليست معزولة عن السياق الاجتماعي التاريخي العام، إذ ظهر شعراء آخرون أعطوا المرأة بعدا إنسانيا أصبحت من

خلاله رمزا وحقيقة في الوقت نفسه، هي خفايا حلم الشاعر التي لا نستطيع اليوم البوح بها اجتماعيا، وهي الحقيقة في كل شموليتها.

فالمرأة كانت دائما جامعة بين ما هو كائن وما يجب أن يكون بين نزيف الحزن وبشاعة الجرح الدامي المخفي، ونزيف الوطن, المرأة الكبرياء والجمال والمرأة الأم المثال الأعلى الذي نؤمن به حتى في لحظات ضعفها، لكن إذا بحثنا في المعادل الموضوعي للمفردات في القصيدة كلها، ومن خلال المقاطع الشعرية نجد أن الدلالات لا تنطبق كلية إلى الأم، لكن هناك امتزاج من تلك الأم المتمثلة المثال والمرأة الحب والعشق إذن هناك تعددية في المرأة الواحدة و من خلال الخطاطة التالية :

الخطاطة الأولى [1]

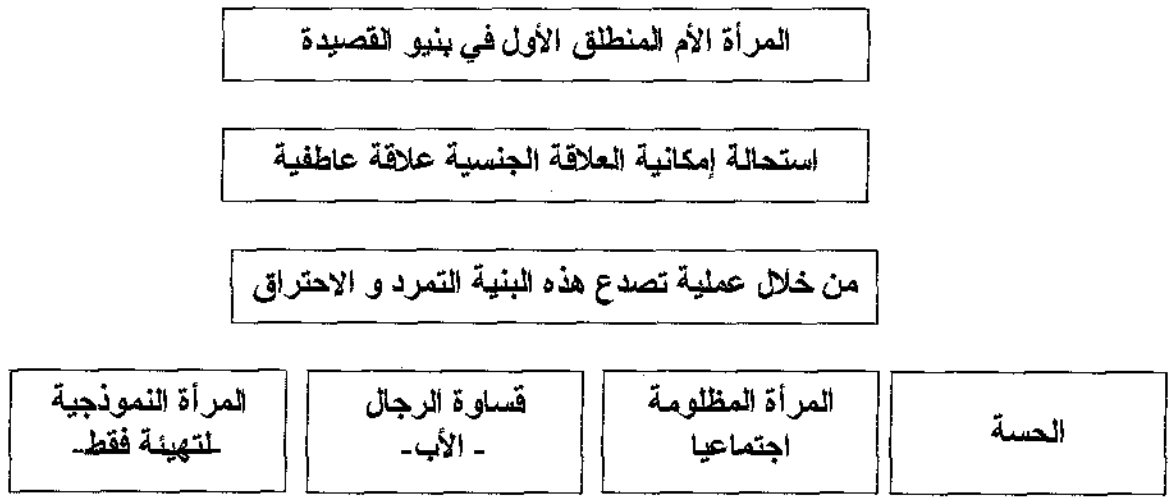

[1] زينب الأعوج: دفاتر نسائية: دار المصباح للنشر الجزائر ١٩٩١ ص ٤٤

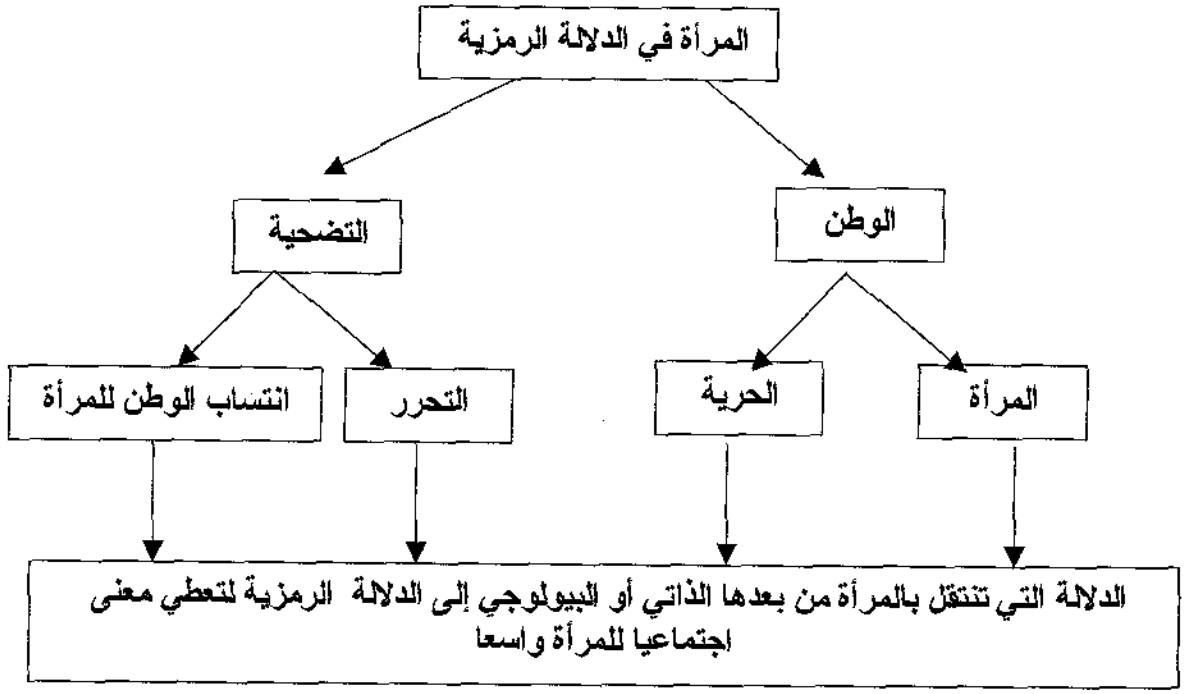

الخطاطة الثانية [1]

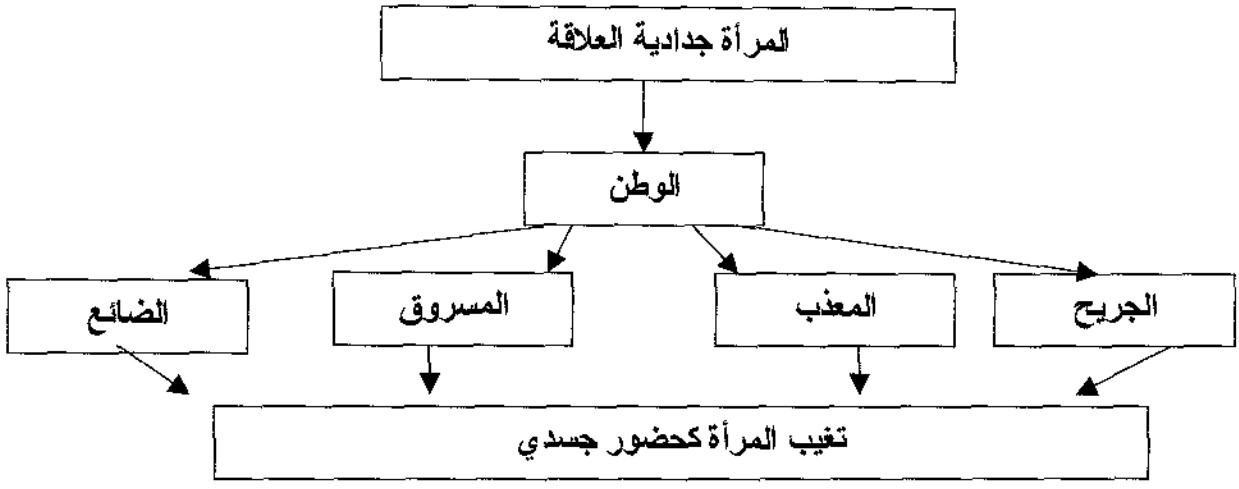

[1] المرجع نفسه ص ٤٧

فالمرأة إذن تتحول وتشكل حسب قناعات الشاعر وتصبح ما يرعب هو أحيانا حبيبة، صديقة، وطنا، وجوها لناس فقراء ... قد تكون منفردة أو جامعة لكل هذه التصورات.

إذن لقد اكتسبت المرأة أهمية عظمى في الشعر العربي قديمة و حديثه، على الرغم من أن هناك تفاوتا من شاعر إلى آخر إن لم نقل من شعراء مجتمع إلى آخرين .

فإذا هناك وجوها كثيرة للمرأة الجاهلية أشار إليها شعراء العصر تولعها بالمال و الشباب و تسلحها بالدمع شأنها شأن المرأة في كل العصور و في ذلك يقول امرئ القيس :

وَ مَا ذَرَفَتْ عَيْنَاكِ إِلَّا لِتَضْرِبِي ... بِسَهْمَيْكِ أَعْشَارَ قَلْبٍ مُقَتَّلِ[1].

و الشاعر الجاهلي رغم ماديته و إقباله على منع الحياة بكل شراهة[1] و توزيعه ليومه بين الفروسية و الكرم و اللهو و المؤانسة ... و هي شيمة العربي الفارس القديم في جهة و نظرته للمرأة، فإنه يضيف إلى مفاتنها الحسنة جمالا لقيمها الروحية و صفاتها المعنوية و يكفينا على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- وهذا امرؤ القيس و نظرا لاحتشامها يجعلها قاصرة الطرف و عنترة لصراحها يصورها آنسة عصية اللفظ و المتلمس لفخرها يعتبرها الحبيبة حبها لم يفد[2].

---

[1] جورج عريس الغزل تاريخه و أعلامه ص ٧٠

[2]+ نفس المرجع .

كما قد تكون المرأة المحور الوحيد لدى الشاعر فهذا عمر بن أبي ربيعه يدور شعره كله حول موضوع واحد آلا و هو التغزل بالمرأة. فديوان شعره كله حب لا غير إلى درجة أن المتصفح له يجد استمرارا واحدا لمحبوبه واحدة في قصائد عدة. و محبوبات ربيعه كثيرات يركز وصفه عليهن من الخارج، القوام, الوجه، اليدين, الفم، الشعر... و قد تتشابه هؤلاء النسوة في المواصفات و المقاييس لكن ما يعتقد فيهن أننا لا نجد شخوصا حية لهن شأن باقي الشعراء القدماء إلا أنه كان يتميز عنهم بقدرته على تصوير عواطف المرأة و أهوائها و تقلبها فهو القائل :

فَاخِرَ عَهْدٍ لي بِهَا حِينَ أَعْرَضَتْ وَ لاَحَ لَهَاخَدٌّ نَقِيٌّ وَ مَحْجَرُ
سِوَى أَنَنِي قَدْ قُلْتُ يَانَعْمٌ قَوْلَةً لَهَا وَ العَتَافُ الأَرْحَبِيَاتُ تَزْجَرُ
هَنِيئًا لِأَهْلِ العَامِرِيَةِ نَشْرُهَا ال لِذِيذُ وَ رَبَّاهَا التِي أَتَذَكَّرُ[1]

إذا فأغلبية الشعراء لم يعبروا إلى غوالم النفوس لأن واقع الصحراء قد فرض عليهم ماديته.

إذن هناك من الشعراء من صور المرأة العربية مثالا للرذيلة المطلقة و منهم من جعلها مثالا للعفة التامة و كلا الصفتين لا يجب أن تطلقان على كل النساء بصفة عامة، فهناك منهن الشريفات العفيفات و هناك الخائنات, و كل مجتمع يشتمل على كلا النوعين من النساء، فشعراء العصر وقفوا على العالم الخارجي منها فأصبحت المرأة تتحول

[1] فاروق شوشة : أحلى ٢٠ قصيدة حب في الشعر العربي. دار العودة بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩/ص ٣٩

و تتشكل حسب قناعات الشاعر و تصبح ما يشتهي هو أما أو عشيقته أو صديقه أو وطنا ...[1] فمنهم من يناصرها و يدافع عنها و منهم من يثور عليها مسلطا عليها شتى أنواع السخط و الظلم.

فإذا ما جئنا إلى العصر الحديث يقابلنا نزار قباني و هو أبرز شعراء سورية و الوطن العربي, قد احتلت المرأة عنده محورين أحدهما يدور حول وصف محاسن و عناصر السحر في جسدها و أنوثتها ... أما المحور الثاني فيشتمل على ما قاله فيها من الوجهة الاجتماعية. فهو يثور و يدفع عنها كيد المجتمع و يدافع عنها ضد الرجل الذي لا يجد فيها مجرد سلعة تباع و تشترى أو متعة من متاع الدنيا لا غير و قصائده في ذلك كثيرة منها "امرأة من زجاج" و "يجوز أن تكوني" فنجد فيها راكب للحب النظيف و العواطف السامية أما في قصيدتي "خاتم المطبقة "، "إلى أجيرة" فالشاعر يستنكر زواج المصلحة الذي يسعى إليه الكثيرون و تحضرنا هنا بعض الأبيات من قصيدة "حبلي[2]" الذي نلمس فيه دفاع قوى عن المرأة و ينطوي على كثير من القيم و المثل فيها إذ يقول الشاعر :

لَا تَمْتَقِعْ هَيَ كَلِمَةٌ عُجْلَى –أَنِّي لَأَشْعُر أَنِني حُبْلَا.. !!
وَ صَرَخْتَ كَالْمَلْسُوعِ بِي كَلَا –سَتُمَزِّقُ الطِفْلَا
وَ أَرَدْتَ تَطْرُدُنِي وَ أَخَذْتَ تَشْتِهِي لَا شَيْء يُدْهِشُنِي
فَلَقَدْ عَرَفْتُكَ دَائِمًا نَذْلَا... !!
وَ بَعَثْتَ بِالْخَدَمِ تَدْفَعُنِي فِي وَحْشَةِ الدَّرْبِ

[1] زينب الأعوج : دفاتر نسائية ص ٤٤
[2] د. عمر الدقاق : فنون الأدب المعاصر في سورية ص ٣٧٦

يَا مَنْ زَرَعْتَ الْعَارَ فِي صُلْبِي وَ كَسَرْتَ لِي قَلْبِي
وَ يَقُولُ لِي : مَوْلَايَ لَيْسَ هُنَا لَكِنَّهُ حِينَا
لَمَا تَأَكَدَ أَنَّنِي حُبْلَى [1]

أما في قصيدته " أوعية الصديد " نلمس إدانة بالغة لهذا المجتمع العربي المغلق الذي لأهم لرجاله سوى أن يضلوا طوال الوقت ملتصقين بجسد المرأة طامعين دائما في بطش لحمها و شرفها فهاهو الشاعر ينطق بصوت المرأة مدويا من أعماق ألامها قائلا :

مَاذَا أُرِيدُ....، يَا وَارِثَا عَبْدَ الْحَمِيد
وَ الْمُتْكِي التُّرْكِي وَ التُّرْجِيلَة الكَسْلَى تَئِنُّ وَ تَسْتَعِيدُ
وَ الشَرُّ كِسْيَاتُ السَّبَايَا... حَوْلَ مُضْجِعَةَ الْعَبِيدُ
سَقَطَ فَوْقَ بِسَاطِهِ جِيدًا فَجِيدُ
كُمْ أَنَّ تَحْتَ سِيَاطِكُمْ فَهَذَا شَهِيد
وَ بَكَى مِنْ اسْتِئْثَارِكُمْ خَصْرٌ عَمِيد
مَاذَا أُرِيدُ؟ [2]

هذا فيما يخص موقف نزار القباني من المرأة و دفاعه عنها في حين نجد غيره من الشعراء يثور ثائرته حول سفور المرأة و ينادي بحجاريها ففي قصيدة "أمهات النبي ماذا عراها" لأبي النقي قال فيها عن النساء:

---

[1] المرجع نفسه ص ٣٧٧
[2] المرجع السابق نفس الصفحة

كَيْفَ تَرْضَي بِأَنْ تَرَى حَاسِرَاتٌ نَمْلَيْ وُجُوهَهَا الْفُجَّارُ[1]

في حين نجد فريقا آخر من الشعراء لم يدافع عن المرأة و لم يهاجمها و إنما أشفق عليها من إغراءات تيار المدنية الجارف الذي أغوى النساء و الرجال الكثيرين و من بينهم "خليل مردم" الذي تناول موضوعا مهما له أثرا في حياتنا اليومية و الاجتماعية على الجيل من الشباب و يا للأسف أصبح يوما بعد يوما ألا و هو الرقص المختلط و في ذلك يقول :

كُلُّ صَعْبٍ فَهُوَ بِالرَّقْصِ يَهُونُ وَ عَسِيرُ الْأَمْرِ فِيهِ كَالْيَسِيرُ
رُبَّ جَدٍّ كَامِنٍ خَلْقٍ مَجُونُ وَ كَبِيرٍ سَتَرَاهُ مِنْ صَغِيرٍ[2]

كما هناك العديد من الشعراء من يحمل المجتمع المسؤولية الكاملة لانحراف المرأة فهي لا ذنب لها في كل ما وصلت إليه و من مثل ذلك القول التالي:

مَا ذَنْبُهَا؟ وَ الشَّوْكُ وَ الْآلَامُ وَ الْأَوْهَامُ تَفْرُشُ دَرْبَهَا
وَ صَانَعُوا لَيْلَ الْجَرِيمَةِ يَسْجُدُونَ لِحُبِّهَا
رَشُّوا عَلَى أَقْدَامِهَا عِطْرَ الْغَوَايَةِ وَ الْغُرُورِ
فَمَضَتْ كَمَا شَاءَ الْحُدَاةُ لَهَا عَلَى الدَّرْبِ الْخَطِيرِ[3]

[1] المرجع نفسه ص ٣٧٤
[2] المرجع نفسه ص٣٧٧
[3] المرجع السابق ص ٣٧٥

و لعل أكبر دليل على احتلال المرأة حيزا كبيرا في القصيدة العربية ابتداء الشعراء في العصر الجاهلي قصائدهم بمقدمة غزلية أو طللية مهما كان غرض القصيدة

صورة المرأة في الأغنية :

رافق الغناء, الإنسان العربي{ الإنسان بصفة عامة } منذ الزمن البعيد، وعاش معه حياته، بدءا بتربية المهد وصولا إلى مرتبة اللحد، دون انقطاع. وقد يصدق الرأي القائل: "بأن الشعر بلا غناء كالناعورة بلا ماء[1] فلاسيما إذا عرفنا إن الغناء ما هو إلا تلحين للشعر وعليه يمكن القول بأن الأغنية ما هي إلا نمط من أنماط التعبير له وظيفة خاصة تؤديها في حياة الشعب. حيث تختلف عن غيرها من سائر الأشكال التعبير الأدبي في توزيعها، تؤدى عن طريق الكلمة و اللحن معا، وعليه فالبحث في مجال الأغنية ينقسم إلى قسمين الاول يختص بالكلمة والثاني باللحن الموسيقي، وكل شق له باحثين ومختصين[2].

أما الجانب الذي يهمنا هو القسم الكلامي، وإن صح التعبير يهمنا موضوع واحد من مواضيع هذه الأغنية و هو المرأة حيث نعتبر هذه الأخيرة مصدر إلهام لدى الشعراء لا يقل يعط بسخاء و دون انقطاع. ولذلك وجدنا أن محور المرأة في الأغنية بمختلف صورها وألوانها يحتل الصدارة (لا سيما الأغنية الشعبية باعتبار كلماتها مشاعر تلقائية تصدر بكل عفوية لا تكلف ولا تضع فيها ولعل هذا السبب الرئيسي

[1] مجلة التراث الشعبي : العدد الثاني عشر (ص ٢٢٣) السنة العاشرة ١٨٨٩ تصدر عن وزارة الثقافة و الإعلام دار الجاحظ ص ٢٣٣
[2] أشكال التعبير الشعبي ص ٢٢٣

الذي جعل منها أكثر ملائمة وروحا بين الناس) باعتبار أن حياة المرأة بكل ظلالها وتنوعها تعامل بمنتهى الجمالية والرقة وبأسلوب مؤثر للغاية، فمثلا: الموت والحب, الكراهية ، الفراق الزواج، القيود الاجتماعية ...وغيرها قد تشتمل عليها المرأة فتشكل نغمات في تلك الأغاني.

وكما ذكر سابقا فالمرأة كانت و لا تزال محور إلهام الشعراء فهي كذلك كانت و لاتزال أيضا محور إلهام المطربين و كأن الغناء هو محور قلبي يبدو و كأنه يعكس مشاعر مستميعيها.

و يمكن تقسيم هذا المحور العام – محور المرأة في الأغنية – إلى محاور فرعية متعددة الذكر منها إلى سبيل المثال لا الحصر:

١- أغنيات عاطفية تعكس تلك العلاقة الحميمية التي تجمع بين المرأة و الرجل[١].

٢- أغنيات المناسبات الإجتماعية تعكس العادات و التقاليد المفروضة على المرأة من قبل المجتمع[٢]. مثل الزواج إذ نجد في هذه الأغاني وصفا لحالة الفتاة التي تتزوج بدون أن يؤخذ رأيها في الموضوع. أو ذكر للأوصاف التي يجب أن تتمتع بها الفتاة المقبلة على الزواج كالسمعة الطبية.

---

[1] مجلة التراث الشعبي ص ١٨٧.
[2] أشكال التعبير الشعبي ص ٢٢٣.

فمثلا في عرف المجتمع الشعبي ان الفتاة التي تكثر من الضحك و السخرية قد تعرض سمعتها للخطر لأن هذه الصفات تعد عيبا إلى درجة أنها قد تبطل زواجها فتلوتها الألسنة.

٣- المرأة المخلصة لزوجها أو الخائنة له.

٤- اعتزاز المرأة بالمهر: فارتفاع قيمة المهر لدى البعض هو تقدير و تعظيم لقيمة المرأة في حين هو لدى البعض قيمة أو تمن لشراء العروس[1].

ما تجدر الإشارة إليه في هذا الموضوع هو أن أهم ما يعزز مركز المرأة في بيت زوجها و برفع من قيمتها و شأنها أكثر و أكثر بعد أن تختار وفقا للقيم الإجتماعية هو إنجابها للأطفال و لا سيما الذكور. و قد نجد من الأغاني التي تحمل في طياتها دعوى للعروس في ليلة زفافها: *ربنا يجعلك تطرح و تملا المطرح*[2]. فويل للمرأة التي تتزوج و تبقى مدة طويلة دون إنجاب حيت تقول إحدى الأغنيات:

مِنْ سُبلِ الْغَلَّـــة مَاتِجِيبْ لِينَا يَاحَمَام
مِنْ سُبلِ الْغَلَـــة يِجعَلْ قْدَامهَا نْدَىَ
عَ الْعَمْ وَ العَمَّة وْ تْبَكْرِي بِالْوَلَدْ
وِ تْعَمِرِي دَارْنَا وْ مَا تِجِيبْ لِنَا يَا حَمَامْ

[1] المرجع السابق نفس الصفحة
[2] المرجع نفسه الصفحة ٣٧٨.

و يتضح من هذا المقطع العلاقة الوثيقة بين خصوبة التربة و ما تدره إلى الفلاح من محصول و هو القمح و بين زواج الفتاة و إنجابها للأبناء الذين يعمر بهم بيت الزوج.

و نخلص في النهاية إلى أن نوع الأغاني المتعلقة بالمرأة يخضع خضوعا تاما لتنوع مواضيعها داخل القصيدة بآعتبار الأغنية شعرا ملحنا سواء كان حرا أو مقفى. و عليه فإن هذه الأغاني قد تمجد المرأة و تسمو بها إلى أعلى الدرجات إذا ما كان الشاعر راضيا عنها كما قد تحط قيمتها إذا ما كان هذا الأخير ناقما عليها.

و ما تجدر الإشارة إليه أيضا أن من بين مؤلفي هذه الأغاني شعراء معاصرون تثقفوا بالثقافة الشعرية الفصحى المأثورة و مارسوها و وصلوا إلى درجات عالية فيها, و تكفينا أن نذكر البعض منهم في العالم العربي أمثال: أحمد شوقي, إسماعيل صبري, أحمد رامي وغيرهم كثيرون ...

المرأة في الرواية :

إن الأدب القصصي أو الروائي يتسع لرصد القيم الاجتماعية السائدة في واقعنا العربي و الملاحظ على هذا النوع من الأدب أنه إنتاج معروض من قبل تصور الكاتب العربي أكثر من الكاتبة العربية لأنه المنظور الأعم و الأكثر امتداد في التعبير عن القيم السائدة و المتصارعة في هذا الواقع.

و وضعية المرأة في الأدب الروائي بصفة عامة هي انعكاس لعلاقتها بالرجل حتى في أكثر جوانب هذا الواقع خصوصية و كبداية يمكننا القول بأن أدباء العصر الحديث مثل العقاد و غيره لا يختلفون كثيرا في تصورهم عن أدباء المجتمع العربي القديم كروائع ألف ليلة و ليلة و السير و الملاحم الشعبية.

فالمرأة في معظم قصص الأدب القديم كثيرا ما تظهر على شكل الجارية الفاتنة اللعوب و الشيطانة في كل ألاعيبها الناهية في ملكها و كيدها العاشقة الفاتنة الولهانة في عشقها و الإيجابية في موضوع الحب و الجنس ... و في قصص ألف ليلة و ليلة نجد كما سبق الذكر نماذج عدة للمرأة.

١. فقد نجد شبيهات حواء التي أخرجت آدم عليه السلام من الجنة أي أن هذا النوع من النساء يكن السبب المباشر في هلاك الرجال و الضرر بهم مثل قصة : الخياط و التاجر النصراني.

٢. كما نجد شبهات امرأة العزيز التي سجنت سيدنا يوسف عليه السلام بسببها و ذلك في قصة قمر الزمان.

٣. كما نجد قصص جاءت على شكل أخبار تروي لنا ما وصلت إليه النساء من قمة في الفنون و الآداب و من مثل ذلك واقعة تحكي عن الرشيد و البنت العربية الشاعرة التي تزوج بها.

" لقد تركت الشخصيات النسوية في كتاب ألف ليلة و ليلة نموذجا سيئا للمرأة العربية, و الذي يتمثل في الجارية التي لا يهمها إلا لباسها, ولا ترى في نفسها أكثر من متعة للرجل تعيش بغرائزها و عليها أن تكون جميلة و أن تسلي الرجل و تطهو له الطعام الرائع. وهذا النموذج مازال المتحكم في حياة المرأة العربية. لم يغيره خروجها إلى الحياة العامة قطعا"[1].

و تجسيد آداب ألف ليلة و ليلة لهذا النوع من النساء ما هو إلا تعبير عن الوعي الباطني للمجتمع بتصوره للمرأة المثالية, جميلة و خيالية أو هي حقيقة تاريخية معينة, طفت فيها عقلية الجواري و الحريم و استمرت كما نعلم طوال الحكم العثماني. المرأة تعبر عن الجمال و الخيال و عن الحيل النسائية و هذا نموذج مما جاء حول المرأة في هذا الأدب :

" إنما الفتاة رخيمة الكلام حسنة القوام و هي كقضيب الريحان بثغر كأقحوان و شعر كالأرسوان و خد كشقائق النعمان و وجه كالتفاح و شفة كالراح و ثدي كالرمان وهي ذات قد معتدل و جسم منجدل .. "[2].

إذن فالأدب القديم رسم لنا معالم المرأة القوية إيجابية كانت أو سلبية من خلال حكايات ألف ليلة و ليلة و غيرها على أنها جنية أو ساحرة أو شيطانه، فالأدب الحديث أيضا صور لنا معالم هذه المرأة

---

[1] نازل الملائكة : كتاب كلمات على حواء الحلقة الأولى . مأخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية , دمشق (د.ت) ١٩٧٣ ص ٢١.
[2] جيري بريس (وآخرون) في المنتخب كتاب ألف ليلة و ليلة الجزائر دار المعارف ١٩٥٣ ص ٧٧-٧٨.

الإيجابية و السلبية قوية على أنها جنية أو عفريتة إلا أن الاختلاف بين الأدبين, القديم و الحديث يكمن في أن الأول: أخد صورة "الجنية شكلا و معنى أما الثاني فحذف الشكل و احتفظ جسدها بالشكل الآدمي كغيرها من بني البشر, لكن ما اتصفت به من كيد و مكر و خداع ظل ينتمي إلى أهل الجان أكثر مما ينتمي إلى البشر و لعل أكبر دليل على ذلك ما نجده عند زكي مبارك حين وصف المرأة بأنها أعظم قدرة من الشياطين و الأبالسة أنفسهم على الفتك و التحايل و خداع الرجل. نفس المعنى نجده عند العقاد في رواياته لكنه أرجع قدرتها على الفتك و التحايل و الكيد الإغراء إلى طبيعتها الأنثوية الضعيفة.

و قد اشتهر أديب آخر بلقب عدو المرأة آلا و هو توفيق الحكيم و هو في هذا المجال يكاد يتفق كليا مع العقاد لولا بعض الاختلاف الوارد في قصته المشهورة " الرباط المقدس "[1] إذ يصور لنا شخصية امرأة متمردة على المجتمع من أجل سد الفراغ العاطفي الذي كانت تعاني منه لا غير. أما وجه الاتفاق بينه و بين العقاد فيكمن في تصوير المرأة بأنها مخلوق لا يخلص إلا لغريزته إذ أنها تكاد تتصرف بغير قيم دينية و فكرية و اجتماعية.

ففي الرباط المقدس يعرض توفيق الحكيم لماهية المرأة مبينا للمفهوم السائد عنها في المجتمع العربي و الرباط المقدس ليس رباط الزوجية كما قد يتبادر إلى الأذهان, لكن هذا الرباط وفق الحكيم هو رباط البنوة ذلك الرباط الذي يضمن انتقال الملكية الفردية من إرث و غيره من الأب إلى الأبناء الشرعيين و من ثم فالمرأة في منظور

[1] دفاتر نسائية زين بنت الأعوج / موضوع المرأة ملكية فردية و أداة إنتاج لد لطيفة الربات ص ٦٥

توفيق الحكيم ما هي إلا أداة لإنجاب النسل و للحفاظ على الملكية الفردية المتوارثة عبر الأجيال و بالتالي فالمرأة ملكية فردية للرجل فبطل القصة – الكاتب – يجسد متطلبات الفكر في حين تجسد المرأة متطلبات الجسد و هي الزوجة الخائنة. فالكاتب يقرر أن وجود المرأة ينحصر في جسدها و من ثم فلا عقل لها لأن البطلة داهية تلعب بالزوج بدهاء شديد و من ثمة يقع عبئ التوجيه و الحماية على الرجل "{ فالبطلة هي الفاعلة و الزوج مفعول به} فالرجل يجب أن يتكفل بالمرأة و حمايتها و هي تتكفل بصيانة جسدها و صيانة الجسد تقدم للرجل الضمان أن يكون الأبناء من صلبه.

صورة المرأة في القصة الشعرية :

إن الملاحظ للقصة الشعرية بصفة عامة يدرك أن للمرأة دورا كبيرا فيها ، فهي تعد شخصية أولى للقصة ،قد اكتسحت الميدان لسيما الاجتماعي والعاطفي، فكانت محورا أديرت حوله القصص الكثيرة التي بدت أكثر نسجا وبناء، وأكثر أصالة وسبكا من غيرها، لأنها كانت وستبقى محور الحياة و منبعا للوحي وقد رسم لها الشعر صورا كثيرا، وأوضاعا مختلفة، فكانت حبيبة محبوبة، وأما و زوجة، كما صورها عفيفة طاهرة، غانية وضيعة، واعية و مستهترة... وجاءت هذه القصص تارة تحمل مضمونا اجتماعيا وتارة أخرى مضمونا

عاطفيا على حسب نظرة الشاعرة وحسب الزاوية التي تناول منها موضوعه، هذا فضلا عن العبرة التي يخرج بها الشاعر في النهاية, وهنا نذكر بعض النماذج من هذه القصص الشعرية:

١.قصة " عادة الإكراه على الزواج " لأحمد محرم[١] :وهي تدور حول الحب الذي حالت الأوضاع الاجتماعية دونه كالفقر أو الحسب أو الدين.

٢."شهيد المروءة وشهيدة الوفاء لخليل مطران[٢].

٣. " أم اليتيم " لمعروف الرصافي، رسم فيها صورة المرأة الأرملة المكافحة التي استشهد زوجها في الحرب وما ينتظرها من حمل أبنائها و عذاب البؤس والحرمان

٤. " طوق الياسمين " لنزار قباني ، يصور فيها المرأة المستهينة المستهترة التي تسفر عن طبيعتها المتعايشة المتحدية إذا يقول:

وَجَلَسَتِ فِي رُكنٍ رَكِينٍ
تَتَسَرَجِينَ
وَتَتَقَطِينَ العِطْرَ مِنْ قَارُورَةٍ وَ تَدَهْدِمِين

[١] عزيزة مريدن : القصة الشعرية في العصر الحديث ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر – ١٩٨٨ ص ١٩٢
[٢] المرجع نفسه ، ص ٢٠٢

لَحْنَا فَرَنْسِيَ الرَّنِين
لَحْنَا كَأيَامِي حَزِينْ
وَلَمَحْتُ طَوْقَ الْيَاسَمِين
فِي الْأَرْضِ مَكْتُومَ الْأَنِين
كَالْجُثَّةِ الْبَيْضَاء
تَدْفَعُهُ جُمُوعُ الرَّاقِصِين
وَبِيَهِمْ فَارِسَكِ الْجَمِيل بَأْخُذُهُ
فَتَمَانَعِينَ
وَتَقْهَقِهِينَ
(لَاشَيْءَ يَسْتَدْعِي انْحِنَاءَكِ
ذَاكَ طَوْقُ الْيَاسَمِين)[1]

رسم الشاعر في هذه الأقصوصة الشعرية صورة فتاته وقد أهداها طوقا مني الياسمين فشكرته لكنها في اليوم نفسه قابلت غيره ولم تعر اهتماما للطوق حين وقع منها ودفعته أقدام الراقصين.

٥- "حضن أمي" : للشاعر القروي

لِحُضْنِ طَالَمَا نِمْتُ فِيهِ قَرِيرَ الْعَيْنِ بَيْنَ الظُّلْمِ وَالشُّمِ
أَمَا أَلْقَيْتِ رَأْسَكِ فَوْقَ صَدْرٍ حَنُونٍ خَافِقٍ بِمَحَبَّةِ الْأُمِ[2]

[1] نزار قباني : قصائد منه – دار الكتب – بيروت – الطبعة الخامسة ١٩٦٠م ص ١١١
[2] المرجع السابق ص ٣٠٢

٦- " هي " لاليا أبو ماضي:

أَتَخجَلُ بِإِسمِ مَن تَهوى أَحسَناءُ بِغَيرِ اسمِ
فَأُطرَقَ غَيرَ مُكتَرِثٍ وَتَمتَمَ خَاشِعَاً: أُمِّي[1]

هذه بعض النماذج على سبيل المثال ، لأنه كما سبق الذكر صور المرأة متعددة ، لكن صورتها بدت من خلال قصصهم تقريبا كلها سلبية ضعيفة, لا إيجابية فعالة، لأنهم صوروا لنا في غالب الأحيان المرأة الأنثى ونادرا ما صوروا المرأة البطلة. فحتى المرأة العربية الحديثة التي ساهمت جنب إلى جنب مع الرجل في بناء المجتمع لا نجد لها أثرا في القصة الشعرية الحديثة

[1] إليا أبو ماضي : الجداول, مطبعة مرأة العرب نيويورك ١٩٢٧ ص ٦٤

الجزء الثاني

-عصر الانحطاط السياسي (ق ١٠ هـ، ق ١٦ م):

ما يمكن قوله عن مكانة المرأة بصفة عامة في عصر الشيخ عبد الرحمن المجدوب أنها كانت عبدا من الدرجة الثانية على الرغم من كل ما قامت به من أشياء إيجابية سواء بالنسبة للرجل نفسه أو بالنسبة للمجتمع و لكن من أهم المشاكل التي واجهتها في هذا البحث أنني لم أستطع الحصول على معلومات أكثر فيما يخص هذا العصر سوى الشيء الذي قلناه عن العصر الذي عاش فيه الشاعر و لذلك حاولت قدر المستطاع تحديد الوضعية الاجتماعية و السياسية لهذا العصر و هو المعروف بعصر الانحطاط السياسي.

فالمرأة العربية لم تثبت وجودها على مر العصور السابقة [الأموي العباسي – دويلات] مثلما ظهرت في العصور الموالية ، إذ كانت متسلطة، و صولية تجيد حبك المؤمرات ... كما برعت في تسيير أمور الملك و ما إلى ذلك .... إلا أنها بقيت و كما سبق الذكر دون الرجل في أغلب الأحوال اللهم إلا فيما يتعلق بأدبيات القصص الشعبي.

ففي عصر الانحطاط خضعت المرأة لظلم قهار فرضه الرجل عليها بالحجاب الذي لا يختلف عن القـبر و من دون شك أن هذا الوضع الذي آلت إليه هذه الأخيرة له أسباب و عوامل, لأن تطور وضع المرأة من دون شك مرهون بتطور وضعية الرجل

داخل المجتمع. و لذلك لابد من إلقاء لمحة وجيزة على الظروف السياسية و الاجتماعية التي سادت عصر الانحطاط و هو القرن السادس عشر ميلادي و الذي عاش فيه المجدوب و من دون شك فهذه الظروف لها بالغ الأثر على حياة الناس و سلوكهم عامة.

فالمغرب الأقصى كباقي بلدان المغرب العربي كان يعيش تفككا سياسيا واضحا منذ مطلع القرن السادس عشر ميلادي، فلا وجود لسلطة مركزية قوية بالإضافة إلى الهجمات الصليبية التي تعرض لها آنذاك و المبتهلة في السمات الأساسية العديدة على المراكز و المدن العربية دون شك أن هذه الفترة كان لها بالغ الأثر على الوضعية الاجتماعية للسكان فالأغلبية كانوا يعيشون وضعية مزرية إلى درجة أن هذه الظروف قد أصبحت لدى البعض بمثابة عامل طرد فأدت بهم إلى مغادرة البلاد.

و من كل ما تقدم نخلص إلى أنه في هذه المجتمعات حيث القوى المتضاربة تكاد تتداخل بشكل واضح يصبح وضع المرأة جزءا من هذه التعددية المتواصلة الذي تتأثر بالصغيرة و الكبيرة مع الأفكار الاجتماعية, و بما أن الأديب مرآة عصره و الأدب يرتكز في مضمونه على الصراع سواء تكلل هذا الأخير بالفشل أو النجاح. فإن أهم هذه الصراعات جميعا هو الصراع القائم بين الرجل و المرأة منذ الأزل البعيد، فهذه اللامساواة لها جذور ضاربة في التاريخ العربي الإسلامي أما إذا تحدثنا عن المغرب العربي فيعود التعارض بين الجنسين إلى القرن السادس عشر

و التاسع عشر و هي الفترة التي عاش فيها الشاعر عبد الرحمن المجدوب حيث اتسمت العلاقة بين الجنسين بسمتين أساسيتين هما العبودية و المجاعة ، لقد كان تأثرها كبيرا على المجتمع المغربي إلا أن هذا التأثير كان مضاعفا على المرأة [1].

و إذا تأملنا نتاج عبد الرحمن المجدوب الشعري نجده يصور لنا هذه العلاقة بين الرجل و المرأة و هي علاقة متناقضة فالمرأة القوية الظالمة لا تمثل عنده إلا نسبة ضئيلة جدا في حين أن المرأة الضعيفة الغير صالحة تمثل الجزء الأكبر, بل أن حكمه عليها يكاد يكون مطلقا لولا بعض الرباعيات التي تنفى ذلك و هذا ما سنلاحظه بوضوح فيها بعد. لكن ما لا يجب إغفاله أن ما ذكره الشاعر في رباعيته عن المرأة لم يأت من العدم بل نتيجة ظروف سادت المجتمع الذي كان يعيش فيه بالإضافة إلى تراكمات العصور السابقة و التي نلحظها أيضا في شعره لكن بالإضافة إلى كل هذا هناك حكاية تروي قصة عبد الرحمن المجدوب و إحدى النساء الواتي كانت سببا في سخطه عليهن هي كالآتي :

حكاية عبد الرحمن المجدوب و كيد النساء :

كان هناك فقيه و هو شاب وسيم لكنه فقير و معدم و كانت تعيش بجواره فتاة جميلة مع أمها و في يوم من الأيام قصدت الفتاة الفقيه قائلة له و هو منهمك في قراءة كتبه الصفراء: ماذا تفعل

[1] زينب الأعوج دفاتر نسائية ، مقال : المساواة و الأطروحة الثقافية ، كتابات فاطمة المرسي : لأحمد شوال – دار المصباح للنشر الجزائر ١٩٩١ ص ١٥٧

يا فقيه؟ قال لها : أبحث في هذه الكتب عن كيد النساء، فقالت له: ألا تريد أن تتزوج؟ فقال لها : كيف أتزوج و الزواج يحتاج إلى مصاريف كبيرة و أنا كما ترين فقير لا أملك شيئا، فقالت له أنا أدلك على طريقة تتزوج بها مني، فقال لها و كيف ذلك و أنت ذات الجمال و الجاه و النسب معا؟ فقالت له : اذهب إلى السوق و هناك تجد أبي و هو الشيخ عبد القادر ، أمين تجار الذهب للمدينة و أطلب منه يدي و لكنه سوف يقول لك أن ابنتي دميمة معوقة و بكماء و لا تصلح لأن تكون زوجة و لكنك لا بد أن تصر على الزواج مني رغم ذلك.

قصد الشيخ عبد القادر شيخ تجار الذهب و طلب منه ابنته فأخبره الأب بأن ابنته معوقة و دميمة و غير صالحة للزواج لكنه أصر على طلبه. و بذلك قبل والدها و بعد أيام قليلة أقيم حفل الزواج و بعد دخول الزوج على زوجته وجدها بالفعل كما وصفت له و تبخرت صورة الفتاة التي كان يحلم بها فحزن كثيرا و تعاظم همه و مرت الأيام و هو على هذا الحال و ذات يوم جاءته جارته الجميلة من جديد و قالت له ما بك يا فتى مهموما؟ فأجابها : لماذا زوجتني من تلك الفتاة المعوقة ، ما هو ذنبي معك حتى فعلت بي هذا؟ فقالت له: هأدلك على طريقة للتخلص منها؟ فرد عليها قائلا : لا أستطيع ذلك لأنني أنا الذي أصريت على الزواج منها رغم علمي بما لها منذ البداية، فردت عليه افعل ما سأشور به عليك و سترى النتيجة فقبل متسائلا عما يفعل، فقالت له الفتاة : أركب

زوجتك على حمار و اجعل تطوف بها في السوق على مرأى الناس. فنفد الفقيه ما أشارت عليه الفتاة، فحين رأى شيخ التجار منظر ابنته هرع إلى زوجها و طلب منه أن يطلقها فورا و يعطيه ما يشاء، فطلق الفتى زوجته و أعطاه أبوها بيتا و مالا كثيرا، فذهب إلى تلك الفتاة الجميلة و خطبها من أمها و تزوجها و اعترف لها بكيدها و براعتها في حبك الحيل[1] و هنا قال مثله الشهير:

كَيْدْ النِّسَاء كَيْدِينْ ... وْسَبْعِينْ كِيدهمْ يَاجِـــــزوني

رَاكْبَةْ عْلَى ظْهَرْ السَّبْعْ ... وَ تْقُولْ كَالحدَّاءْ يَأكْلوني[2]

المرأة قيمة سلبية :

لا تختلف الصورة التي رسمهـــا الأدبـــاء العرب القدامى و المعاصرين عن المرأة و لا الأدباء الرسميون عن الشعيسون إلا في التفاصيل أو في بعض الاختلافات الطفيفة التي تقتضيها الظروف البيئية و ظروف العصر المعاش.

و الشاعر عبد الرحمن المجذوب صب كل خوفه على المرأة فاقترنت صفات القوة فيها بالشر و الخطر و الغموض و الكيد و الرياء و الكذب و الالتواء و الإغراء و الفتنة و الكيد و الخيانة و السحر و الشيطنة و غيرها من الصفات السيئة و الأخلاقية. وأولى هذه الصفات :

---

[1] نقلا عن الإذاعة المغربية : حصة إذاعية يوم الثلاثاء ١٩٩٨/٠٥/٢٠ من الساعة ١٩ إلى الساعة ٢٠ مساءً

[2] ديوان سيدي عبد الرحمن المجذوب ، دار إحياء العلوم ـ الدار البيضاء ـ المغرب دوي تاريخ ص ٧

١ – ***المرأة الكائدة (الكيد)*** :

يرتبط الكيد و معناه الحبلة و المكر و الخداع بالمرأة و كل ما يتعلق بها من حب و جنس و فتن[١]. إذ تظهر في أغلب الأحيان و في معظم القصص الشعبية داهية في مكرها و كيدها و أقوال عبد الرحمان المجدوب تزخر بالعديد من الأمثلة التي تجعل من المرأة مصدرا للصفات المذكورة سابقا و منها قوله:

بُهْتْ النّسَاء بُهْتِينْ مَنْ بُهْتهمْ جِيتْ هَارَبْ
يَتْحَزْمُوا بِاللفَاعْ وْ يَتْخَلْخْلُوا بِالْعْقَارَبْ[٢]

تبين لنا هذه الرباعية الكيد والمكر الذي وصلت إليه المرأة, وفي نفس الوقت يحذر من خلالها الرجل حتى يأخذ حرصه وجدره في التعامل معها لاسيما أنها قادرة على فعل أي شيء في سبيل الوصول إلى مرادها. لأن المرأة واعية بكل أنواع القهر والعنف المسلط عليها من قبل الرجل. و لذلك فهي تسعى جاهدة لإنتاج قوة مضادة تقابل و تحارب بها قوة و سلطة الرجل و يتمثل ذلك غالبا في المكر و الخداع... و في ذلك قيل أيضا :

" إن عيسى عليه السلام لقي إبليس و هو يسوق أحمره عليها أحمال فسأله ماذا يحمل ؟ فقال: أحمل تجارة و أطلب مشتري. فقال: ما أحدهما؟ قال: الجور. قال: من يشتريه؟ قال السلطان. قال: فما الثاني؟ قال: الحسد. فمن يشتريه؟ قال: العلماء. قال:

---

[١] نوال السعداوي: الوجه العاري للمرأة العربية – المؤسسة العربية للدراسات و النشر- بيروت ص٢٣

[٢] عبد الرحمان المجدوب الديوان ص٦.

فما الثالث؟ قال: الخيانة فمن يشتريها؟ قال: النساء. قال: فما الرابع؟ قال: الكيد. قال: فمن يشتريه؟ قال: النساء "[1]

من هنا يتضح أن الكيد صفة لصيقة بالمرأة منذ أقدم العصور و هذا دليل على تفوقها على الرجل في مجال الكيد و هنا تحضرنا حكاية شعبية قديمة محورها صراع قائم بين بنت النجار و الأمير، فالأمير للوهلة الأولى يحاول قدر المستطاع تعجيز الفتاة من خلال طرحه عليها بعض الأسئلة التعجيزية يستحيل الإجابة عليها فيكون ردها بالمثل إذ تسعى هي أيضا لتعجيزه و هكذا إلى أن تنجح المرأة و تتمكن من التغلب عليه يحيلها و دهائها و هذا ما يدفع الأمير إلى القوة لرد اعتباره فيتزوج من بنت النجار و يقوم بحبسها بما يسمى "بالمطمورة "[2] لكن قوته لا تمكنه من التغلب عليها إذ تتفق مع أبيها على حفر ممر بين المطمورة و بين بيت أبيها فعاشت بذلك حرة طليقة بل أكثر من ذلك استعملت حيلها و مكرها فكانت تتزين و تتقمص شخصية غائبة و تخرج من الممر السري و تضاعج الأمير و تأخذ منه كل مرة دليلا على التقائها به كأن يكون خنجرا أو خاتما ... و مرت الشهور و الأعوام حتى وضعت بنت النجار ولدين من الأمير، فانتهزت الفرصة المناسبة و أعلنت للملأ الحقيقة مدعمة بالأدلة ... و هنا ينهزم الأمير مسلما بلعبة النساء و كيدهن.

---

[1] الأبشهي : المستطرف في كل وقت مستطرف ج٢ شركة و مكتبة و مطبعة مصطفى جلبي و أولاده- مصر الطبعة الأخيرة ١٩٥٢م ص ٢٥٦

[2] دفاتر نسائية : موضوع المساواة و الأطروحة الثقافية لأحمد تراك ص ١٦٢

و من خلال هذا الموروث الثقافي الشفوي يتضح لنا جليا أنه بفضل استعمال المرأة عقلها و ذكائها يمكن أن تنتصر على سلطة العنف عند الرجل لأن الصراع بين الجنسين يمكن أن يكون فيه النصر و التفوق للمرأة و لكن بالرغم من ذلك فإن المجتمع الذكوري يمتص و يبتلع القدرات و يهمش قوتها و إمكاناتها. و القرآن الكريم قد احتوى على قصة تدل دلالة واضحة على كيد النساء و كيف هو حقيقة جوهرية فيهن بل هو كيد عظيم ألا و هي قصة "يوسف عليه السلام و امرأة العزيز مصدقا لقوله تعالى "فلما رأى قميصه، قد في دبور قال إنه من شدكن إن كيد كن عظيم":

بِحَدِيثِ يُوسُفَ فَاعْتَبِرْ ... مُتَحَذِّرًا مِنْ كَيْدِهِنَّ

أَوْ مَا تَرَى ابْلِيسَ آخْـ ... ـرَجَ أَدَمَ مِنْ أَجْلِهِنَّ[1]

فهذا الصنف من النساء يخفين عكس ما يظهرن فهن تبدين كل الصفات الحسنة التي تسعد الرجال و تستهويهم كالضحك و الابتسامة الدائمة التي تدخل السرور و الإنشراح و الطمأنينة على قلوب الرجال و لكن هذه الحالة ليست دائمة ، فالمرأة توظف ضحكها لقضاء مآربها أو تستعمله لتوقع الرجال في حبالها أو التخلص من مشاكلها و هذا يدل على مهارة النساء و حسن معرفتهن بشؤون الحياة و كيفية التخلص من مشاكلها و أعبائها و هذا ما يبينه الرباعي :

---

[2]سورة يوسف الآية ٦٨

[1] نوال السعداوي- المرجع السابق ص ٨١

مَزْيَنْ النّسَا بْضَحْكَاتْ لُوكَانْ فِيهَا يْدُومُو

الْحُوتْ يْعُومْ فِي الْمَاءْ وْ هُمَا بْلاَ مَاء يْعُومُو[1]

حْدِيثْ النّسَا يُونَسْ وْ يْعَلَمْ الْفْهَامَة

يْدِيمُو شَرْكَة مَنْ الرّيحْ وَ يْحسنُو لَكْ بْلاَ مَاءْ[2]

و من دون شك أن هذه المهارة في الكلام و التحايل في الضحك ستقود الرجل إلى الانسياق في طلبات المرأة و ربما سببا في هلاكهم و الإضرار بلهم.

كما نجد الموروث الثقافي و الذي يمثله في هذه الدراسة عبد الرحمن المجدوب يرسم للرجل طريق واضح عليه اتباعه كي يحتفظ بسلطة السادة و حتى لا تنقلب الأوضاع منه إلى المرأة فتضعف بذلك السلطة الذكورية و ذلك من خلال توضيح و تبسيط له مكر و خداع المرأة إذ لا يجب أن يتعامل معها بقوة الجسمية أو مكانته الاجتماعية و إنما من خلال رجاحة عقله في إستعاب ما يمكن تسميته بالقوة المضادة. فالشاعر يشير و بطريقة غير مباشرة إلى مدى قابلية المرأة إذا ما وعت و ضعها و بذلك فهي تهدد وضع الرجل. إذن النصين السابقين يؤكدان على وجوب احتياط الرجل بالحدر الشديد أثناء تعامله مع المرأة و عدم اغتراره بما تبديه و تظهره له من حسن في الكلام أو جمال في المقام أو استقامة في السلوك و الطباع لأنها تخفي عكس ما تظهر:

---

[1] الديوان ص ٤

[2] المصدر نفسه ص ٧

كَيْدْ النِّسَاء كَيْدِينْ وْ مَنْ كِيدْهُمْ يَا حْزُونِي
رَكْبَهْ عْلَى ظْهَرْ السَّبَعْ وَ تْقُولْ الْحْدَاءْ يَا كْلُونِي [1]
سُوقْ النِّسَا سُوقْ مَطْيَار يَا دَاخْلْ رُدْ بَالَكْ
يْوَرِيوْلَكْ مَنْ الرِّبْحْ قْنطَارْ وَ الفَرْكْ رَاسْ مَالَكْ [2]

المرأة

↓

الكيد

ظهر السبع

↓

الحداء دلوني

↓

قوة باطنية

↓

ضعف ظاهري

السبع = قو (المظهر الداخلي- الإجابي)

الحداء ددلوني = ضعف

(السلوك الخارجي - السلبي)

[1] المصدر السابق الصفحة نفسها
[2] المصدر نفسه ص ٤

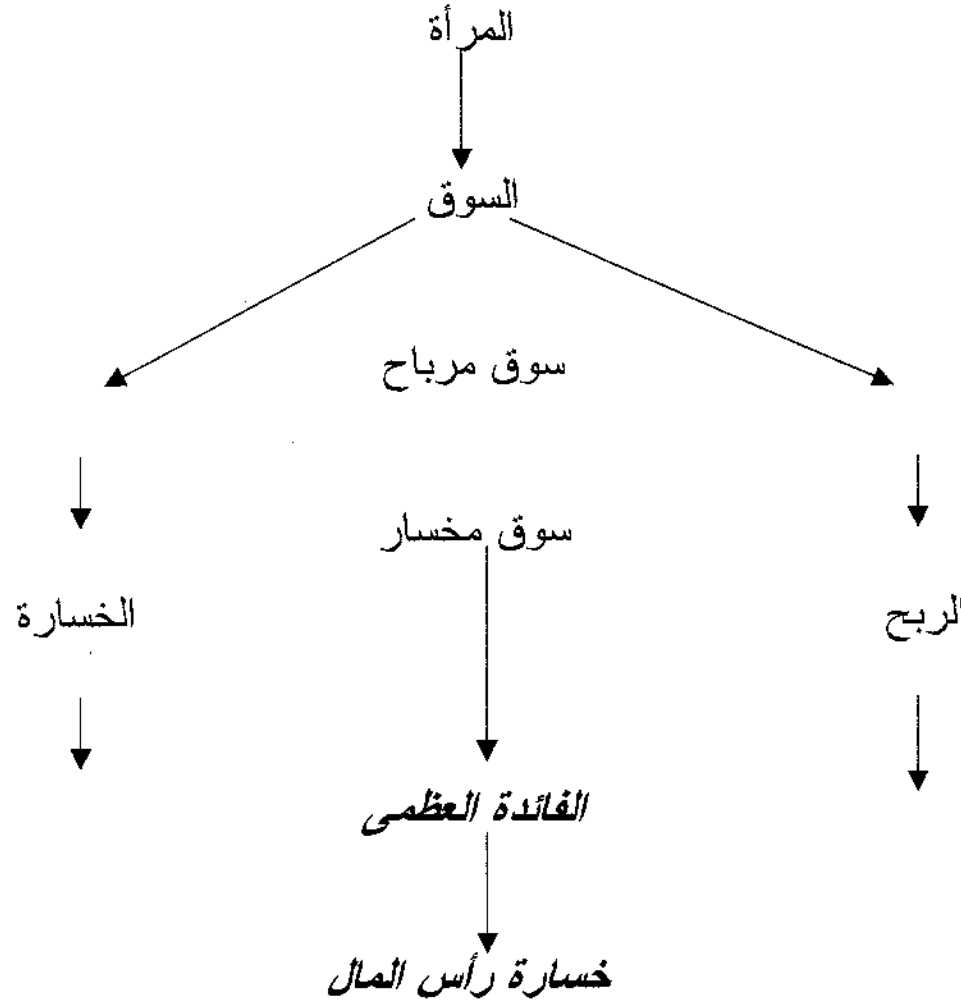

إذن سلوك المرأة الظاهر ما هو إلا وسيلة تموه الرجل عن حقيقتها حتى تصل إلى مبتغاها فإن كان لها ذلك تظهر حينها ما تبطئ فتباشر في استعمالها.

إذن عبد الرحمان المجذوب هنا يحرص من خلال تبيان عيوب المرأة على استمرارية إعادة إنتاج و تطوير حامل الثقافة الأبوية لتفوق السلطة هذه الأخيرة و نستدل عل ذلك من خلال تحذيره الشديد للرجال من المرأة و توعيته لها من خطورة مكرها كما نجد من الأدباء من

يرى بأن المرأة ذات كيد و رياء معين و أن هذه الصفات من طبيعتها و هي محمولة عليها و جزء لا يتجزأ منها[1].

و بما أن هذا النوع من النساء تصرفاتهن مبنية على الحيلة و الخداع فإننا نجد الشاعر يتطير منهم محذرا الرجل من الوقوع في شباكهن الساحرة لأنه حدث ذلك سيكون باطنه ربحا و ظاهره خسارة لا محالة.

٢ .***المرأة الغير الوفية (الخيانة)*** :

إن الخيانة نزعة شريرة في النفس البشرية توقدها المؤثرات و تلهيها الأطماع و الخيانة أنواع و لعل أشدها الخيانة الزوجية لا سيما إذا كانت من قبل المرأة، فالمرأة الخائنة تتسرب في أوصال المجتمع و من دون شك أنها ستأثر سلبا فيه إذا أنها تفك بأخلاقياته و قيمته الفاضلة، ناهيك عن كون هذا المرض من الأمراض المعدية و الفتن الفتاكة لأنه و في أغلب الأحيان تستطيع المرأة المنحرفة بذكائها و حيلها أن تنجر وراءها و تجدب إلى طريقها إناثا أخريات على شاكلتها في السوء، فتصبح بذلك كالفاكهة العفنة الفاسدة تصيب ما حولها من فاكهة بالفساد أيضا[2].

و الموروث الثقافي لدى عبد الرحمن المجدوب بين لنا أن المرأة التي لا وفاء لها بالعهد تستوي هي و اليهودي في غش هذا الأخير الذي لا يستطيع الاستغناء عن هذه الصفة و كأنها حبلة راسخة فيه و هذا ما يفهم من الرباعية :

---

[1] عباس محمود العقاد : المجموعة الكاملة : الإسلاميات المجلد الثاني - دار الكتاب اللبناني بيروت ط ١-١٩٧٥ ص ٢٤

[2] عبد المنعم قنديل : فتنة النساء . دار الشباب – باتنة- الجزائر بالتعاون مع مكتبة الإسلامي بالقاهرة ص ٨٢

لاَ فِي الْجَبَلْ وَادْ مَعْلُومْ وْ لاَ فِي الإنسل[1] دافي
لاَ فِي الْعَدُو قَلْبْ مَرْحُومْ وْ لاَ فِي النِّسَاءْ عَهْدْ وَافِي

الفتنة الناشئة عن الخيانة داء قديم عجزت البشرية عن استئصاله أو علاجه على الرغم من أن البيانات السماوية قد حددت عقوبات الزنى (***ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة و ساء سبيلا"***)[2].

أما الجانب الذي يخدم موضوعنا هنا هو الاعتقاد بأن طاقة الجنس عند المرأة أكثر طبيعة وقوة من الرجل، ولذا فإن القضية تأخذ اتجاها اجتماعيا، فإذا لم تسيطر على هذه الطاقة الجنسية عند المرأة فإنها تسبب فتنة تهدد النظام الاجتماعي. ويعتقد بأن الرجل أقوى من المرأة خلقيا وفكريا وجسديا لذلك فهو مخول –طبيعيا– بالسيطرة على المرأة وحمايتها، لذلك فكل ما نفرض عليها من مظاهر العفة والحجاب و الانزواء... ينظر إليها من قبل فارضيها على أنها حلول لحماية المجتمع من أية عواقب تجرها عليها طاقة المرأة الجنسية[3].

إذن فالأعراف العامة والثقافات الموروثة تعتبر المرأة عورة، والعورة شيء حرام ومقدس لأنها ترمز إلى شرف الجماعة لهذا تخضع المرأة دائما لرقابة الرجل أو تبقى تحت الوصاية الأسرية، ويبقى هم الأسرة الوحيد زواجها فتنتقل المسؤولية إلى عاتقة.

---

[1] عبد الرحمان المجذوب ص. ١٢.
[2] سورة الإسراء
[3] شؤون عربية : نحو إطار عمل نظري لدراسة المرأة في العالم العربي ص:١١٨ العدد ٢٢ . ديسمبر ١٩٨٢/صفر ١٤٠٣ه.

كما يرى بعض العلماء النفسانيون أن الإنسان يأتي إلى العالم مزودا بالقدرة على الاستجابة لمختلف أنواع المنبهات و جزء منها فقط هو الذي يمكن إرجاعه إلى الطاقة الفطرية ولكن أنماط الإستجابه سرعان ما تفقد سيطرتها مع تنمية الفرد لأنماط الاستجابية المستمدة من البيئة.

من بين هؤلاء العلماء ألفرد آدلر الذي قال أن السلوك يتحدد على نحو أولي بالدوافع الاجتماعية وعليه فإن الكفاح من أجل التقوى والرفعة هو الدافع الاجتماعي كتعويض عن مشاعر الدونية وهذا ما ينطبق على الرباعية السابقة.

فالمرأة لها سلوك ظاهري تموه به الرجل والدافع إلى ذلك قوتين هما الحاجة إلى التغلب على الدونية و الرغبة في التفوق[1]، فالحياة تلعب دورا كبيرا في توجيه سلوك المرأة وتنظيم شخصياتها. فحين تفشل هذه الأخيرة في تحقيق هدفها المنشود تلجأ إلى حيل الدفاع النفسية والمتمثلة غالبا في الخداع, النفاق, الحيل.

و الحديث عن خيانة المرأة الزوجية يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن الصفات السيئة المرفوضة في المرأة المطلوبة للزواج و عبد الرحمان المجدوب له ما يقول في ذلك. فالمرأة الخائنة عنده لا فائدة ترجى منها لأنها تكون قاسية القلب سيئة الأخلاق :

لَا فِي الْجَبَلْ وَادْ مَعْلُومُ وَ لَا فِي الشَّتَا رِيحْ وَاهِيَ

[1] د.أحمد محمد الزغبي : الإرشاد النفسي : نظرياته اتجاهاته – مجالاته دار الحكمة اليمانية للطابعة والنشر والتوزيع والإعلان ط الأول ص1 1514 ص/ 1994 بيروت لبنان

و بما أن هذا النوع من النساء لا يعرف الوفاء بالعهد فإن حبهن للرجال لا يدوم فتجد أحوالهن متقلبة كما تقلبت الفصول الأربعة و في هذه النقطة قيل: "و مما يحدث الهوى في قلوب النساء لغير أزواجهن ويدعوهن إلى الحرص على الرجال و الطلب لهن أمور منها أن يظهر لها زوجها شدة الحذر. عليها الاحتفاظ بها و الغيرة في غير موضعها لأو يكون الرجل منهمكا في الفساد مظاهرا لها بالزنى فإن ذلك متما يغريها في طلب الرجال و الحرص عليهم [1]" كما جاء في قول أحد الشعراء :

مَا أَحْسَنَ الْغِيرَةَ فِي حِينِهَا وَ أَقْبَحَ الْغِيرَةِ فِي كُلِّ حِينْ [2]

لُحِتَّ الْحَجَرُ إِلَى السَّمَاء وَ تَلْقِيهَا يَعُودِي [3]

حَتَّى وَاحَدٌ مَا غَشَاشٌ كَالْمَرْأَةِ وَ الْيَهُودِي

المرأة	=	اليهودي
الغش	=	الغش
صفة لا أخلاقية		صفة لا أخلاقية
باطنية ظاهرية		باطنية ظاهرية
سيئة السلوك		سيء السلوك

و كما سبق الذكر فإن أخطر ما في فتنة الخيانة أنها تؤدي في الكثير منى الأحيان إلى سفك الدماء فمن دون شك إذا تبغين الزوج أن

---

[1] المستطرف للأبشهي ص ٢٥٧

[2] المرجع نفسه ص ٢٥٨

[3] ميلود بلبشير: الحكمة الشعبية في رباعيات عبد الرحمان المجدوب. جامعة تلمسان, معهد الثقافة الشعبية ١٤١٥/١٤١٦ ـ ١٩٩٤/١٩٩٥م. ص ٩٥.

زوجته تخونه مع رجل آخر فهناك أمامه حليـــن لا ثالث لهما، فإما قبلها أو قلبه يشفي غليله و يطفئ نران حقده و لكن في كلتا الحالتين تصاب حياته و مستقبله بالدمار، أما إذا اختار حلاً ثالثا ألا و هو انفصاله عنها لسوء سلوكها فإن نظرة هذه الخيانة ستظل وصمة عار تلاحقه مدى الحياة و بذلك لن يدمل الجرح الذي سببته له مدى الحياة حتى و لو يدي ذلك ظاهريا فإنه يعتاد داخليا لأنه طعن في كرامته و شرفه ...[1].

فالرياء الأنثوي الذي يصح أن يقال فيه أنه رياء المرأة خاصة إنما يرجع إلى طبيعة في الأنوثة يلزمها في كل مجتمع و لا تفرضه عليها الآداب و الشرائع باعتبارها أو بغـــــير ذلك [2].

إن الكيد و الخداع طبيعة المرأة و سلاحها مع الرجال الذين يكرهونها أو يحبونها سوءا بسوء.

خَلِّ الْمَلاَمَ عَلَيْهَا يُثْبِتُهَا ... حُبُّ الْخِدَامِ طَبِيعَةٌ فِيهَا

هُوَ سِتْرُهَا وَ زِينَتُهَا ... وَ رِيَاضَةٌ لِلنَّفْسِ تَجِيدُهَا

وَ سِلاَحُهَا فِيهَا تَكِيدُهَا ... مَنْ يَصْطَحِبُهَا أَوْ يُعَايِرُهَا

إذن يجب تسلح الرجال بالحذر و اليقضة من خبايا المرأة و هي جميلة دعوية تستهوي الرجل لكن بداخلها حبل و مكر خصوصا إذا ما غرمت الانتقام و هذا ما تؤكد الرباعية السابقة "كيد النساء...."

---

[1] عبد المنعم قنديل (فتنة النساء). ص.١٩

[2] عباس محمود العقاد : المرجع السابق ص ٢٤

فالمرأة إذا ما أرادت الانتقام فإنها لا تجهر بذلك مما يستوجب على الرجل أن يجدر من كيدها و يتجنب مكرها "و هي لضعفها تلجأ إلى الحيلة أكثر مما تلجأ إلى المواجهة المباشرة في الانتقام شبه انتقامها بلسعة الأفعى النائمة "[1]

و في ذلك يقول: الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "استعيد باله من شرار النساء و كونوا من خيارهن على حذر "[2]

و قال طفيل الغنوي :

إن النساء لأشجار تين لنا ... منهن مرّ و بعض المرّ مأكول[3]

إن النساء متى ينهين عن خلق ... فإنه واقع لا بد مفعول[4]

المرأة الغير الصالحة للزواج :

جاء في حكمة داود عليه السلام :"إن المرأة السوء مثل شرك الصيد لا ينجو منها إلا من رضي الله تعالى عنه"[5]، كما قيل أيضا "المرأة السوء عل يلقيه الله تعالى في عنق من يشاء من عباده"[6]

---

[1] عبد المنعم قنديل : المرجع نفسه ص
[2] المستطرق للأبشهي ص ٢٥٨
[3]
[4] المرجع نفسه ص ٢٥٧
[5] المرجع السابق ص ٢٥٦
[6] المرجع نفسه نفس الصفحة

أما العرف الشعبي فيحدد جملة من الصفات السيئة التي عن اشتملت عليها المرأة لم تصلح تصل للزواج ، هذه الصفات و إن اتفق عليه في المنظور العام لكنها تختلف من جماعة إلى أخرى إن لم نقل من فرد إلى آخر أما عبد الرحمن المجدوب فينظر للمرأة غير الصالحة للزواج من خلال الصفات السيئة التي تتصف بها محدرا أقرانه من الرجال من الارتباط بمثيلتها و يجدد هذه الصفات كالآتي : النحافة، العفونة، الجمال المصاحب للأفعال السيئة، البرمل، الطلاق النشوز و العصيان زاعلم أن العيش كله مقصور على الخليلة الصالحة و البلاء موكل بالقرينة السوء التي تسكن النفس التي عشرتها و لا تفر العيون برؤيتها و هذا ما جاء في قوله :

نوَصِيكْ يَا حَارَتْ القَدِيمْ بَالَكْ مَنْ دْخَانْهَا لَا يعْمِيكْ
لَا تِدشِي المْرَأة المَعفونة تتعَاوَنْ هِيَ وَ الزَّمَانْ عْلِيكْ[1]
مَرْوَان لقيته يْخَمَمْ وَاصَلْ العْظَمْ فِي لهَانْتُهْ
هداك مَن زوجة الهَمْ بِكْعَالْهَا عدبَاتَه[2]

القديم = المرأة

النجان العفونة

دخان القديم يعمي جارته المرأة العفنة تساعد الزمن

على أتعاب زوجها

[1] سيدي عبد الرحمان المجدوب : الديوان ص٨
[2] نور الدين عبد القادر المرجع السابق ص ٣٦

يتعب العيون	تتعب الزوج
↓	↓
أثر سلبي	أثر سلبي

إن الزواج المبني على أساس جمال المظهر دون الالتفات إلى ما وراءه سيكون غالبا فاشلا لأن الجمال ليس جمال الشكل و حسب و إن لم يكن مرفوقا بجمال القلب و العقل و بالتالي الأفعال لذلك نجد الشاعر يركز عبر رباعياته على العمق و الباطن أي الرجوع إلى الأصل و المبيت في اختيار الزوجة على ما هو ظاهر مرئي للعين لأنه كثير ما يوقع في أسوء الاختيارات ... فعلى الرمل أن يعزز الجمال الجسمي بالجمال الروحي في اختيار شريكة حياته و الذي عماده الأخلاق الفاضلة بما فيها العفة و الطهارة دون الاعتراف بالمظاهر.

إذن فالرجل أمامه نوعين من النساء فإما أن يسعى في البحث عن الباطن أو يكتفي بما هو سطحي (الجمال) و بالتالي يصبح لدينا نوعين من الرجال :

الأول : يرتكز في مشروعه المتعلق بالبحث عن الزوجة على الجمال الباطني العميق معتمدا في ذلك على عقله في فيكون قد سلك الطريق الصحيح و بالتالي يكون من وجهة نظر المجدوب قد ساهم في إنتاج و المحافظة على قواعد الموروث الشعب.

أما الثاني : فيرتكز في طلبه على كل ما يتعلق بالجمال بمفهومه السطحي (الظاهري) و بالتالي يكون قد ابتعد عما هو معروف في العرف الشعبي.

و هنا يحضرنا قول الرسول صلى الله عليه و سلم: "إياكم و حضراء الدمى قالوا، و ما حضراء التمني يا رسول الله ؟ قال : المرأة في المبيت السوء"[1] فالعرف الإسلامي جاء معززا للعرف الشعبي أو هذا الأخير استمد أصوله و ثقافته من العرف الإسلامي فعلى الرجل أن لا يخترقهما بمعنى وجب عليه أن يتجنب الجمال السطحي و التمسك بالجمال الحقيقي العميق

و انطلاقا من هذا المنظور يقول عبد الرحمن المجدوب :

لَا يَعْجَبْكَ نوارُ الدَّفلَــة ... فِي الوَادْ دَايَــرْ الظْلَايَــلْ

لَا يَعْجَبْكَ زِينْ الطفلة ... حتى تشوفْ الفعايلْ[2]

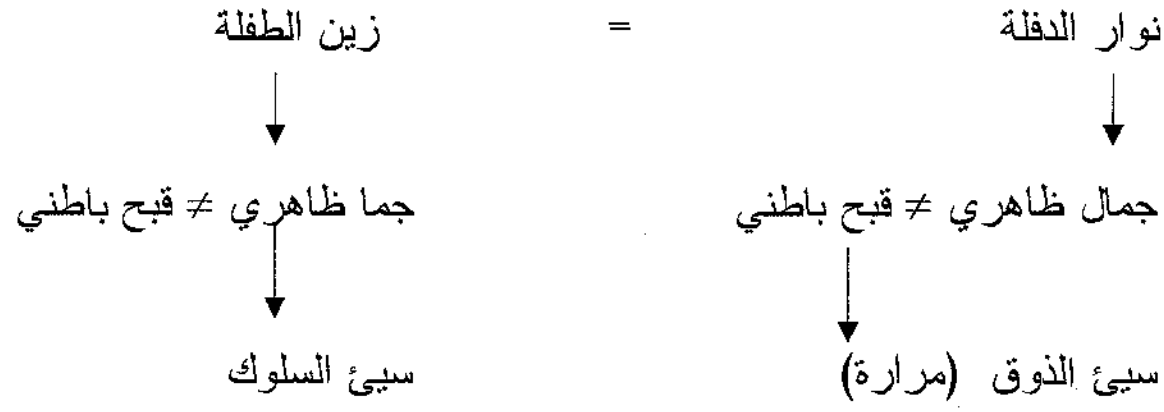

[1] رواه الدار قطني و العسكري و ابن عدى بن أبي سعيد الخدري- ينظر عبد الحميد جزار – المرجع السابق ص ٦٩
[2] المجدوب الديوان ص٥٥

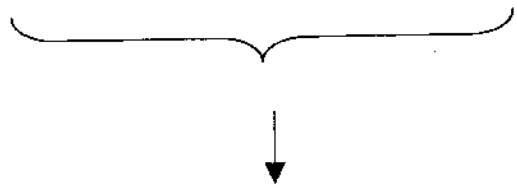

نوار = زين المظهر الخارجي } (إيجابي)

الدفلة = الطفلة السلوك الباطني الداخلي } (سلبي)

يقوم هذا النص على الثنائية الضدية

الخارجي ≠ الداخلي

الظاهر≠ الباطن

الإيجابي ≠ السلبي

الجمال≠ القبح

فالمرأة هنا بين المحطتين و بالتالي فإما مرشحة لاجتياز المحطتين قصد تحقيق الرغبة و هي البحث عن المرأة الصالحة.

هذا التحذير من الجمال الجسمي و فتنته مرده إلى أن المرأة الجميلة تتمكن بسهولة من إغواء الرجل في يتسامح أو يتهاون في أداء دوره كذكر اتجاهها كأن يتسامح معها في أمور لا يجب التسامح فيها بمعنى آخر قد يفقد كل شيء يمتعه بما يسمى بالرجولة.

و المفهوم من الرباعية السابقة أن الشاعر يهتم كثيرا بأخلاق المرأة الحسنة (الفعايل) إلى درجة أنه يجعلها ترادف العمق (العروق) محذرا الاعتداد جمال المرأة لأنها تشبه زهر الدفلة لأنه و رغم جمال شكلها و لونها إلا أنها طعمها شديد المرارة تماما مثل المرأة الفتان الظاهر – قد يكون عكس ما تبطنه لذلك شبهها بزهر الدفلة .

نصل هنا إلى نتيجة مهمة و هي مفهوم المنبت أو العرق الذي تحدثنا عنه في البداية و هو الأخلاق فهي أساس الزواج الناجح و هذا الكلام لا يعني أن الشاعر المجدوب ينفر من الجمال الجسمي بل على العكس من ذلك ... إلى درجة أنه يتطير من المرأة ذات النحافة المفرطة لأنها و حسب رأيه صفة مجلبة للشر و الفقر و البؤس و هذا ما يفهم من قوله :

إِنِّي عَرْقُوبُهَا يَذْبَحُ الطَّيْرَ وَ ضَلُوعُهَا بِالْعَدَادْ

إِنْ بْغَى الشَّرْ يَذْهَبْ أَنْتَاهَنْ تْقُولَهْ ارْوَاحْ وَ أَيْنْ غَادِي[1]

و لعل أول شيء يشد انتباهنا في هذا الرباعي استعمل الشاعر كلمة عرقوب و هو غصن غليظ فوق العقب و ظهوره يدل على النحافة المفرطة غير مجسمة عند العرب لا سيما في المرأة و الفرس و في ذلك قولهم :"أفتح هزلين الفرس و المرأة"[2] و قبل الأغرابي كان

[1] ميلود بلبشير : الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان المجدوب ص ٩٩.

[2] الميداني : مجمع الأمثال ج٢ دار مكتبة الحياة بيروت لبنان ط٢ دت ص ٩٢

ذا تجربة للنساء :"صف لنا شر النساء" فقال : سرهني النحيفة الجسم القليلة اللحم"[1].

و هناك مجموعة أخرى من الصفات تجعل المرأة في المرتبة الدونية و تجعل الرجل ينظر إليها بنظرة سلبية و من أهمها حسب الشاعر تلك إلى جعلتها الأقدار تفارق زوجها الأول إما موتا أو طلاقا أم الربيـــب العاقر – الأيم–الثيب–الناشز و مثل ذلك قوله :

الكَنْتِبَة وَ أُمّ الرَّبِيبْ العَاقَرْ عَلِيهُمْ نَايْبَة
لُوكَان نَوَكلهُمْ لَحمْ العِصِيبْ دَايمْ بِينهُمْ خَايْبَة[2]

و التحذير من التزوج بهذا النوع من النساء وارد مند القدم إذ سأل أعرابي رجلا حكيما يرشحها للزواج منه و قد كان الرجل متخوفا من الزواج فقال له الحكيم :" البِكرُ لَكَ وَ الثَّيبُ عَلَيكَ وَ ذاتُ الوَلَدِ لا تَقْرَبها"[3].

إذن فهل معنى هذا الكلام أن المطلقة و الأرملة كتبت عليها العزلة و التعاسة.

أما فيما يخص المرأة العاقر فالتحذير من الزواج بها وارد حتى عند بعض الفقهاء من أمثال لا أبو حامد الغزالي الذي قال :" فَإذا عرفت المَرأة بالعقر فلا يمتنع عن تزوجها فإن لم يكن لها زوج من قبل وَ لم يُعرَف حَالُهَا فَيُرَاعي صِحتها وَ شبابها ".

[1] المستطرف للأبشهي ص ٢٥٦
[2] لبشير ميلود – الحكمة الشعبية ص ١٠٠
[3] المرجع السابق ص .

فإنها تكون ولودا في الغالب من هذين الوصيفين و يستشهد عن ذلك بحديث الرسول صلى الله عليه و سلم : " علبكم بالولود الودود "[1].

أما الثيب و الأم فالتحذير من الزواج بهما بسبب حنينهما الدائم للزوج الأول و هذا ما قد يجعل حاجزا بينهما و بين زوجهما الثاني ففي رأي المجدوب لا خير في المرأة التي تزوجت من قبل مرة أو أكثر.

و تفضيل البكر على الثيب في الزواج من طبائع أغلب الرجال و ذلك كما قال الشيخ أبو حامد الغزالي : " و في البكارة ثلاث فوائد:

الأولى: أن تحب الزوج و تألفه فيأثر في معنى الود و قد قال (ص) : " عليكم بالودود" و الطباع محبولة بأول مألوف.

الثانية: إن ذلك أشمل في مودته لها ، فإن الطبع ينفر عن اتي مستها غير الزوج نفرة ما. و ذلك يثقل على الطبع منهما بذلك و بعض الطباع في هذا أشد نفورا.

الثالثة: إنها لا تحن إلى الزوج الأول [ما دامت لم تتزوج من قبل و أن الحب ما يقع مع الحبيب الأول غالبا."[2]

و نستنتج مما سبق ذكره أنه وعلى الرغم من اتفاق كل من الشاعر عبد الرحمان المجدوب و الإمام الغزالي في تفضيل البكر على الثيب إلا ان كل واحد له وجهة نظره الخاصة، فالأول نفر من الثيب بنظرة الشاعر الشعبي الناتجة عن الأفكار المستمدة من المجتمع الذي

[1] أبو حامد الغزالي، الزواج الإسلامي السعيد و آداب اللقاء بين الزوجين تحقيق محمد عثمان الحسب، مطبعة امزيان نشر دار رحاب، الجزائر عام ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م ص٦٨

[2] أبو حامد الغزالي المصدر نفسه ص٦٨

عاش فيه أما الثاني فقد فضل البكر على الثيب بوجهة نظر الشيخ الفقيه العارف بأمور الدين.

لقد صب عبد الرحمان المجدوب كل أنواع الصفات السيئة إلى درجة التشاؤم منها حتى بدا و كأنه تعدى حدود المعقول ، إذ جاء حكمة فيها انتقادا لاذعا و كأن الكيد و المكر و الحيلة و الخداع و الأفعال السيئة و ارتكاب المعاصي بما فيها الزنى... هي صفات لصيقة بالمرأة و حدها لا غير.

و لعل الشاعر من خلال تعداد هذه الصفات يريد الوصول بنا إلى نتيجة مهمة ألا و هي تبيان الأسس المتبعة في تربية الرجل للمحافظة على مركزه القوي. و ذلك لأنه كان على دراية كاملة بأن تلك الصفات و التصرفات ما هي إلا رد فعل لامتلاك المرأة سلطة مضادة لسلطة الرجل إلى درجة أنها تشكل فيها خطورة كبيرة عليه تذكر.

المرأة الإيجابية:

لقد عبر الشعراء على مدى العصور عن الحب أعماقا جديدة و ملامح و سمات لم تكن لها، و كيف أصبحت نظرتهم إلى المرأة المحبوبة نظرة إلى كائن إنساني جديد يموج بالمشاعر و العواطف و الأحاسيس ، فالحب غريزة سامية في البشر لذلك كان الإنسان محبا بالطبع. فوجوب توفر هذه الرابطة الإنسانية بين الناس لاسيما بين الرجل و المرأة ضروري مصداقا لقوله تعالى: " و من آياته أن خلق

لكم من أنفسكم أزواجا لتسكنوا إليها و جعل بينكم مودة و رحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون "[1]

و هذه حقيقة لا مفر منها و المجدوب بعد أن أنتقد المرأة و أشبعها هجاء لاذعا عاد فأدرك أن النساء للرجال خلقن و لهن خلق الرجال. لذلك نلمس في بعض رباعياته طعما للغزل و الحب و في البعض الآخر طعما للوصف و الحس المرهف...وهذا دليل على أنه أحس بمرارة الحب و حلاوته إذ ينصح غيره من الرجال و يحذرهم من حب أكثر من امرأة في المرة الواحدة و في ذلك يقول:

يَا رَاكَبَ بينَ عَرشين سَايسَ لَا تُطيحُ
يَزيكَ مَن محبة اثنين خُوذ غِيرَ وَاحدَ تريحُ[2]

فالمرأة عند الشاعر ليست المرأة السلبية فحسب بل الإيجابية أيضا ، لذلك فهو يعترف باختلاف المهر من واحدة إلى أخرى لأن من بينهن مهما دفعت فيها من مال في صداقها فإنك لن تفيها حقها و العكس صحيح.

وَاحدَة رخيصَة بمِيات الفْ وَاحدَة غَاليَه بجلدالقعودْ
وَاحدَه تجيب الخِيرْ معها وَاحدَه تطرده بعمودْ[3]

المرأة

↓

[1] سورة الروم الآية ٢١
[2] بلبشير ميلود الحكمة السعيدة ص١١١
[3] المجدوب: الديواني ص٨

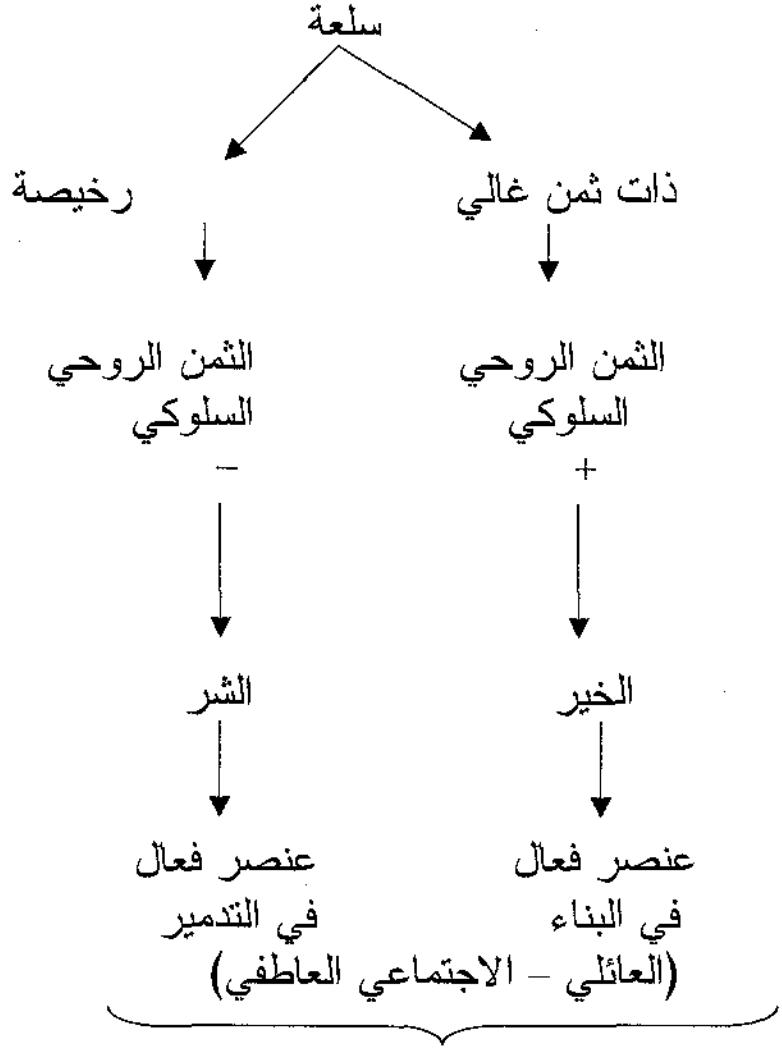

يتقاطع مع المثل الشعبي القائل:
الخير مرا و الشر مرا

إذن هذه الرباعية دليل على أن المجذوب اعترف بقيمة المرأة الإيجابية حتى أنه تغزل بها:

يَا الْجَايزَاتْ يَا نَخْلَاتِ رْوَاضِي

أنتمَا قَاعٌ زِينَاتٌ وَ انَاَ بغِيتٌ غِيرٌ هَادِي[1]

فالشاعر أحب المرأة و تقرب منها لاسترضائها عند حفوتها إلى درجة شعوره بلوعة و عذاب أليم عند الهجر و الفراق كما أنه اهتم بالمرأة ذات الشخصية القوية مفضلا إياها عن تلك التي تهتم بمعالي الأمور.

من خلال هذه الدراسة لرباعيات المجدوب نلاحظ أن المرأة السلبية عنده ذات الصفات السيئة تحتل الحيز الأكبر في شعره على الرغم من أنه فيما بعد عدد صفات المرأة الإيجابية الصالحة، لكن لماذا هذا التناقض العجيب الظاهر على حكمته و التي غلب عليها كما قلنا الهجاء على الرغم من وجود غزل و وصف يدل على أنه احب النساء و شغف بهن ايما شغف و عانى كثيرا بسبب هجرهن له؟

لعل الإجابة على هذا السؤال تكمن فيما يلي: إن الإنسان بطبعه ميال إلى الحب و الكره، إذا أحب مدح و تغزل و إذا كره سب و هجا، فما بالك بالشاعر صاحب الحس المرهف الذي يتأثر لأتفه الأسباب دون الحديث عن الظروف المحيطة به و المؤثرة فيه و في أفكاره. كما أن قيمة الشيء و جماله لن تظهر إلا إذا حملك على بغضه بعد أن يحملك على حبه. و هذه ميزة إن لم نقل ضرب من العذاب لا يملكه أحد على وجه الأرض مهما كانت قوته و إنما يملكه مخلوق ضعيف لطيف ألا و هو المرأة.

[1] المجدوب: الديوان ص٩

والشاعر عبد الرحمان المجدوب ليس وحده الذي اتهم المرأ بالكيد و المكر فقد قال بسمارك عن كيدها:" دموع المرأة وسيلة هجومها على الرجل"[1] دون أن ننسى الموقف السلبي الذي وقفه منها أفلاطون الذي كان يتألم حسرا كلما تذكر أنه ولدته امرأة . و مهما يكن فالحقيقة يجب أن تقال بأن الرذائل ليست خاصة بالنساء جميعا وليست صفة خاصة بالأنثى دون الذكر، و هذا ما جاء في القرآن الكريم مصداقا لقوله عز و جل:" قال يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيدا إن الشيطان للإنسان عدو مبين"[2]

من خلال هذه الآية الكريمة نرى أن الكيد لا يقتصر على النساء دون الرجال و إنما موجود فيهما معا لأنه صفة عامة تغزو نفس كل مستضعف منهما، و إنما الكيد الأنثوي هو راجع إلى طبيعة فيها لا يفارقها بمحض إرادتها لأنها محبولة في تكوينها على التناقض بين غريزتها الفردية المتمثلة في حب التملك و البقاء و شعورها بالحب والعلاقة الزوجية. و لعل هذا التناقض هو الذي يدفعها إلى الشعور بالضعف و الخوف معا من أن يأتي يوم فتصبح غير مرغوب فيها من قبل المجتمع تخاف من الفشل في الحياة ، تخاف من المستقبل المجهول و الخوف الأعظم من الزمن الذي يذهب بالجمال و الشباب و الصحة و لعل هذا ما يجعلها دائمة التحايل مع الرجل خوفا من أن يستغني عنها ذات يوم.

---

[1] مجلة العربي . العدد ٢٨٢ مايو ١٩٨٢. ص.١٢٧

[2] سورة يوسف الآية ٥

لكن ما يجب ذكره أن عبد الرحمان المجدوب لم ينفرد وحده بهذه المغالاة في نعت المرأة بتلك الصفات السيئة ، بل هي فكرة سائدة في المجتمع العربي منذ القدم و في ذلك يقول أبو القاسم الشابي: "هاته الفكرة الحائزة التي كانت تستحوذ على أدمغة العالم العربي كله من أن المرأة مثل الخدر و اللؤم، و حساسة الطبع و حطة النفس، و خبث الضمير، فإن الفكر الذي يعتقد مثل هذا في المرأة لا يمكنه بحال أن يبصر ما وراء جسدها من حياة عذبة ساحرة و عالم شعري جميل...وهل يبصر مثل هذا العالم المشرق المنير من يرى منبع الإثم و مستقر الرذيلة الخائنة؟"[1]

نستنتج أن ما ذكره الشاعر المجدوب عن المرأة لم يأت من العدم بل في شعره نلمح تراكمات من العصور السابقة لأن اللا مساواة لها جذور في التاريخ العربي بشكل عام.

من كل ما تقدم نخلص إلى الحديث عن قيمتين متناقضتين في حياتنا ألا وهما الذكورة و الأنوثة. فالملاحظ للحياة الاجتماعية داخل المجتمعات العربية يبين أن الرجال مجهزون بسلطة واسعة تطبق فعليا على النساء من خلال تحديد حركاتهن و أعمالهن و حق التحكم في مصيرهن و مستقبلهن. هذه السلطة الذكرية موجودة في كل المجتمعات العربية لكن الاختلاف يكمن في تغيير ممارستها و التعبير عنها لكن السؤال الذي يطرح نفسه: من أين تأتي هذه القوة الذكرية و ما هو أصلها و كيف تستعمل تقديس الذكر ؟

[1] أبو القاسم الشابي، الخيال الشعري عند العرب، الدار التونسية للنشر دون تاريخ ص٧٥

تقديس الذكر واقع عميق في المجتمعات العربية فمنذ القدم الولد موضوع كل الانتظارات و الرغبات. و عليه فإن أصل هذه السلطة الذكرية أصل أمومي سوي، لأن الأم تسعى جاهدة و مبكرا لإقناع بناتها و أبنائها على التفوق الذكري. و حسب الخطاب الذكوري المهيمن و المسيطر على المجتمعات فإن الجنسين غير متساويين مهما كانت الظروف و الأسباب، إذ هناك جنس قوي وهو الرجل و هناك جنس ضعيف و هو المرأة و هذا يقودنا إلى استخراج بعض المعادلات:

الأولى : المرأة= الدوبة ≠ الآساوة مع الرجل

الثانية : المرأة = التفوق ≠ الآساوة مع الرجل

الثلاثلة : المرأة= الرجل ≠ الآساوة مع الرجل

هذه المعادلات تؤدي بنا إلى القول أن الرجل في قوته أخذ يحتقر المرأة في ضعفها و قد يكون من أسباب ذلك أن أول أثر يظاهر في الأمة المحكومة بالاستبداد هو فساد الأخلاق و من طبيعة هذه الحالة أن الإنسان لا يحترم إلا بالقوة و لا يردع إلا بالخوف و لما كانت المرأة ضعيفة اهتم الرجل حقوقها و أخذ يعاملها باحتقار دسا على كرامتها و شخصها و لذلك عاشت المرأة غفي انحطاط شديد أيا كان عنوانها في العائلة زوجة أو بنتا ليس لها قيمة و لا اعتبار فهي خاضعة للرجل كل الخضوع حيث استعملها متاعا للذة يلهو بها متى أراد و يرمها متى شاء و هذا ما لحظناه سابقا عند الشاعر عبد الرحمن

المجدوب لكن يمكن أن نقول أن سر هذا التناقض في حكمته حول المرأة لأنه كان دا معرفة كبيرة بخبايا النساء و طباعهن و متى تمت جاءت رباعيته في انتقادها حكما لوصفات الطبيب الذي يكشف عن المرض و يصف للناس بيتا طرق الوقاية منه حتى لا يصابوا بالعدوى، فهجاءه أو مدحه للمرأة كان رجلا عاديا أحب و أكره أحب حين استولت عليه عاطفة و كره عندما استحضر جيرانه بخبايا النساء.

أضف إلى ذلك أن البعد الدلالي الرمزي الذي استعمله المجدوب قد وضع المرأة في البعد النسبي و هذا من دون شك قد أصبح تمييز و قتل لذاتها فكما سبق و ذكرنا فإن العصر الذي عاش فيه الشاعر تميز بالانحطاط و ضعف في السلطة و ساد لافيه الترف و المجون (المرأة و الخمر).

إذا فعلاقة الرجل بالمرأة يحكمها ترتيب معين ، فالذكر يحتل المرتبة الأولى في حين نجد أن الأنثى تحتل المرتبة الثانية ، و هذا الترتيب لم يأت من العدم بل جاء لوضع احتلته المرأة منذ القدم، و بالتالي فالسلطة كيف ما كانت هي دائما بيد الرجل و لا يغفل أبدا أن تكون بيد هذا المخلوق الضعيف الذي كتب عليه الاتباعية الدائمة.

أما الرباعيات المتناولة في هذا البحث نفرض علينا الاعتراف بقوة خفية و عظمى في الوقت نفسه تتمتع بها المرأة .فالشخص المقهور المغلوب على أمره غالبا ما يلجأ إلى الكذب و الخداع و المكر و الحيلة إلى درجة ازدواجية شخصية ، و ربما هذا ما كونه النظام الاجتماعي التقليدي لدى المرأة إذ أصبحت لديها ذهنية خاصة تتميز بها

، فأصبحت تلك الصفات اللاأخلاقية أسلحة تمتلكها و تتقن استخدامها وقت الحاجة و بالتالي كانت العلاقة الرابطة بين الذكورة و الأنوثة علاقة صدام ، فكل منهما يريد أن يكون زمام الأمر بيده.

إذن و كخلاصة لما تقدم نقول أن الموروث الثقافي لدىعبد الرحمن المجذوب يعترف و بطريقة غير مباشرة بمكانة المرأة القوية، و احتكامها على السلطة مضادة تستعملها ضد الرجل إلى درجة تشكيلها خطورة عليه ، و لتفادي ذلك ينصح العقل الشعبي –الشاعر – الرجل بأن يعي و يدرك خطورة حيل و خبث المرأة لذلك يجب أن لا تستهين بالتربية المستقاة من الخبرة الشعبية – النصائح المقدمة– حتى يتمكن من المحافظة على مكانته و مركزه كرجل و رب للسلطة و بالتالي المحافظة على ذكورته.

كما تكشف لنا هذه الدراسة عن العلاقة القائمة، بين الجنسين –التسلط و الخضوع– فالسلطة الأبوية ظلت دائما للرجال فهم يمتلكون كل ما يحولهم لذلك [السلطة الاجتماعية –السياسية – الدينية ...] أما النساء فتتصدين لهم بسلطة مضادة تتمثل في الجنس و الخداع و الحيل ... و لا سيما الأول لأنه تعتبر أهم سلاح تستعمله المرأة و بمهارة للتغلب على السلطة الرجل.

إذن رباعيات المجذوب ما هي إلا اعتراف واضح على كمال عقل المرأة و رجاحتها في إنتاج و تطبيق استراتيجية لقهر نفوذ الرجل. و أكبر دليل على ذلك لجوء الرجل إلى نفس الاستراتيجية للحفاظ على مكانته المرموقة، و عليه فازدواجية طابع المرأة المتناقض

في ذهنيتها و سلوكها هو نتيجة حتمية فرضتها الثقافة التقليدية، فكل هذه الظروف أدت بالمرأة إلى أن تتمثل الخطيئة و العار و من تبعة فالشاعر لم يثر على المرأة كذات أو كشخص بل ثار عليها لأنها كانت ترمز للمجتمع الذي عاش فيه بكل ما فيه من عيوب و انحطاط ... و عليه فإن علاقة الرجل بالمرأة آنذاك كانت علاقة خطيئة و هذا ما نجده في الذات العربية لاسيما ما يحمله لنا التراث الشعبي مثل حكايات ألف ليلة و ليلة ، و هذه الأخيرة يبين بوضوح دونية المرأة و اعتبارها دائما كتلة من اللحم و الدم أو موضوعا جنسيا لا غير .

الفصل الثالث

أبعاد الرؤية الفنية في رباعيات عبد الرحمن المجذوب :

كما سبق الذكر في الرباعيات تسرب إلى الأدب العربي في التقاليد المورثة في الشعر الفارسي لا سيما بعد الفتح الإسلامي و لعل رباعيات عمر الخيام تحتل صدارة هذه الموجات المواترة حيث أحدثت أثرا عميقا في الأدباء سواء الغرب أو العرب فقد ترجمت إلى عدة لغات منها اللغة العربية.

و كما ذكر سابقا أيضا هناك بعض الآراء القائلة بأن هذا اللون الشعري لم يكن يوما دخيلا على الأدب العربي و إنما هو أصيل فيه و هذا رأي لم أستطع الجزم فيه ، لأن الدراسات و الآراء فيه تختلف في ذلك ، لكن الذي يهمنا هو الأدب العربي لم متى نظم في الرباعيات سواء كان ذلك في المشرق أو المغرب العربي ، و أكبر دليل على ذلك الشاعر الذي نحن بصدد دراسته في هذا البحث .

فعبد الرحمن المجذوب له مجموعة شعرية قيمة تتشكل في قالب الرباعيات مقدما بذلك لأدب العربي و الشعبي مجموعة من الحكم الشعبية ذات فائدة عظمى و هي صالحة لكل زمان و مكان .

أما ديوانه فيكون من حوالي مائة و إثنان و عشرون (١٢٢) رباعية تدور حول محاور متعددة و أهمها :

١- المرأة

٢- مخالطة الناس

٣- تقلبات الزمان

٤- التحذير من سوء العواقب

٥- الصبر على المصائب و الأمل

٦- الصمت و حفظ السر و كتمانه

٧- الصداقة.....

و تحمل هذه المحاور مشاعر متعددة تختلف بين النصح و الإرشاد, الحب و الكراهية, التفاؤل و الأسى, الفرح و الحزن, الرضى و السخط, القوة و الضعف... و لن نعتمد في دراستنا هذه على الديوان كله و إنما سنقتصر على مجموعة معينة من الرباعيات بحسب أهمية و تسلسل المحاور. فبعد القراءة المتأنية و المتأملة لهذه الرباعيات و المتعلقة غالبا بالمحاور المذكورة سابقا ارتأينا التركيز في دراستنا على الأبعاد الفنية التالية و هي المشكلة لتجربة الشاعر:

١- البعد الفكري.

٢- البنية اللغوية.

٣- الإحساس بالزمن.

٤- النزعة التأملية الفلسفية.

<u>أولا: البعد الفكري:</u>

يعد التمعن الشديد في رباعيات المجدوب و الدراسة المعمقة لما يتضح أنها تقدم رؤية إدانية للفترة الزمنية التي عاش فيها الشاعر. وهذه الإدانة مصدرها الظروف الإجتماعية المحيطة به و المجتمع الذي عاش فيه. فعصر الشاعر تميز باضطرابات و ظروف سياسية صعبة

أهمها الصراعات السياسية و السلطات المنحلة و المفككة... و بالتالي فإن مجتمع الشاعر كان يسوده جملة من الآفات الإجتماعية منها الانحطاط و الضعف و المجون في كل الميادين و تتشكل هذه الرؤية فيما يلي:

أ- الإحساس الرافض و إرادة التغيير:

يصارع عبد الرحمان المجدوب المجتمع الذي يعيش فيه من أجل التغير بعد أن أحس بألم الفقدان والحرمان وصارع من أجل هذه القضايا سواء من أجله أو من أجل غير. وكل هذا يكشف عما بداخل الشاعر من سخط وغضب وأمل في الآن نفسه ومن ذلك قوله:

آه يَا مَحنتي عُدتْ خَمَاسْ وَالتبّنَ عْمَا عيُونِي
خَمَسْتْ عَلى عَرَهْ النَاسْ كِي يُوجَد العْشَا يزعكُونِي[1]

والألم في هذا الرباعي ليس بدافع الإحباط بل هو ألم الثورة والإحساس بفقدان القيمة والرفعة الحامحة في التغير، فالشاعر هنا ساخط على القوم الذين يعيش معهم، فبعد أن انتفعوا منه ومن خدماته وصاروا في غني عنه طردوه، إذا أصبح أسفل الناس أخلاقا وأفعالا.

[1] عبد الرحمان المجدوب : الديوان ص١١.

ب- إدارية الواقع الاجتماعي:

إن رؤية الشاعر مكثفة بحيث لا نستطيع الفصل بين ما هو داني وما هو عام، فمن خلال تحليله لسلوك المرأة وغيرها من السلوك المرفوضة في المجتمع كالخيانة والغدر وإفشاء الأسرار... فكأنه يضع الواقع الاجتماعي تحت المجهر أو على طاولة التشريح في رباعياته لأن الواقع الاجتماعي هذا تكتر فيه الأمراض والآفات الإجتماعية.

والواقع الاجتماعي بهذا الاعتبار يكاد يكون المادة الأولى التي يستوحيها الشاعر في التعبير عن مشاعره ومواقفه وبما أن الواقع الاجتماعي جزء من الواقع الإنساني يقول محمد المعطى القرقوري: " ذلك أن موجودات الواقع الإنساني في أي مجتمع وفي أي عصر كانت و لاتزال تشكل المادة الخادم والينبوع الثرة"[1]

فعبد الرحمان المجدوب أدان واقع الاجتماعي بكل ما يطبعه من بؤس وانحلال خلقي ومجون وهو بذلك حدد لنا طبيعة الأزمة على الواقع الذي عاش فيه مثل قوله:

نُوَصِيكَ وَأَكَلُ الْخُوخْ مَنْ عَشْرَرُدْ بَالَكْ
فَالنَّهَارْ تَضَلْ مَنْفُوخْ وَفِي اللِّيلْ تْبَاتْ هَالَكْ[2]

---

[1] د: محمد مصايف: النقد الأدبي الحديث في المغرب العربي, المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر) الطبعة الثانية ١٩٨٤/ص٢٩٠.
[2] المصدر السابق ص٦

يقصد المجدوب هنا بالخوخ الأشياء النفسية والثمينة، وهو يتحدث عن أصحاب المراتب العالية حيث تستهويهم أنفسهم ويغويهم التسلق المادي غير المشروع، فيستغلون مناصبهم و نفودهم لأجل ذلك. لكن مهما لقوا من عظمة واحترام نتيجة ذلك، فمن دون شك أنهم سيتعبون في النهاية سواء من خلال تعديب الضمير أو تعديب الله سبحانه وتعالى لذلك وجب محاربة هذه الآفة وغيرها من الآفات الإجتماعية.

ج- ***النزعة التأملية:***

النزعة التأملية قد تكون أقرب الرؤى الشعرية إلى قالب الرباعيات، لأن الشاعر كما هو معروف لا يرى كغيره من الناس وإنما يدرك بإحساسه الذي ترقى بالمبادئ العليا و بعدس الواقع بما يمتلك من حس لا يشترك فيه مع غيره الذي ينظر إلى الأمور بما بطريقة المعرفة الاستدلالية في ظاهرهما، ضف إلى ذلك أنه لا يبصر الأشياء وإنما يتبصر باطنها الذي تتحدث به، لذلك فهو دوما لا يكتف بالرؤية الظاهرة لأن الأشياء غالبا ما تبدو له على غير ما هي عليه الظاهر وبالتالي فتمد عنه هو إيغال بصرته فيما وراء الشيء ليستبطن مكونات[1].

أما إذا عدنا إلى نصوص الشاعر فإن تأمله تغلب عليه فلسفة الحزن والسخط والتشاؤم لاسيما على المرأة لأن تشاؤمه

[1] د. عبد القادر قيدوح: الرأيا و التأويل, دار الوصال, الطبعة الأولى ١٩٩٤ ص.٥٢

هذا لا يقصد به المرأة بصفة مباشرة وإنما سخطه وحزنه على أشياء أخرى – المجتمع- لكنه صبا غضته على المرأة متخذا منها وسيلة التعبير باعتبارها نصف المجتمع. كما أن مشكلة الموت تقلق الشاعر، وهي سر عدابه لاسيما أنه يرى أهل زمانه يتسابقون على ملذات الحياة إلى درجة أنهم يحزرتون على فقدانها من بين أيديهم وهم لا يدرون أن فرح الدنيا وملذتها غير دائم. بل قد تكون هذه الأخيرة في كثير من الأحيان سبب هلاكهم مثل قوله:

الدنيا مَثلثها دَرَاعَة مَا يلبَسُهَا غيرٌ إلى يَشطَحُ
يلبَسُهَا ويدوخُ بِهَا سَاعَة وَ ينكَدُ عليها بعدَ مَا يفرَحُ[1]

والتشاؤم في النزعة التأملية للشاعر يتغلغل في نسيجه الشعري ويلون أفاق الرؤية التأملية عنده، يقول:

لُحتْ حجرٌ إلي السَّمَاءْ وَتلقيتهَا بعودي
حَتَّى وَاحَدْ مَا غَشَاشْ كَالمْرَاة وَاليَهُودِي
حَدِيثْ النسَا يُونَسْ وَيعَلمْ الفهَامَة
يَدِيرُوا شَرْكَة مَنْ الرِيحْ وَيحسنُوا لَكْ بلاَ مَاء[2]

لغة الرباعيات:

إذا تأملنا رباعيات عبد الرحمان المجدوب نجد أن كل رباعية غالبا ما يكون لها جوها الخاص و روابتها المنفردة على الرغم من أنه

[1] المصدر السابق ص ٦.
[2] المصدر السابق ص ٧.

لم يضع عنوانا لكل رباعية و كما هو معلوم لدى الجميع أن الوظيفة الأولى والأساسية لأي لغة هي التغبير عما يدور في الصدور قصد التواصل مع الغير من الأفراد والجماعات التي يعيش معهم وبينهم ... و للغة قيمة عظمى، إذا هي قادرة على الرفع من شأن مستخدميها، إن هو أتقن و أبدع فيها، كما قد تحط منه ومن قيمته بين غيره إذا أساء استعمالها.

فكل شاعر رسميا كان أو شعبيا بافتقاره للغة أو فقدانه لها لا يستطيع إيصال ما يريد التعبير عنه من خوالي نفسه و شاعره... وبما أن عبد الرحمان المجدوب شاعر يندرج ضمن قائمة الشعراء الشعبين فمن دون شك أن لغته تختلف عن لغة نظرائه من الشعراء الرسميين. فمن الوهلة الأولى يتضح لنا أن لغة الشاعر المجدوب هي لهجة أما الشعراء الرسميون فلغتهم فصحى. واللهجة ماهي إلا رافدا أو فرعا من فروع اللغة بإعتبار هذه الأخيرة هي الأم والأصل معا، فهي جامعة لعدة لهجات ولكل منها ما يمزها من دون شك أن جوهر أي شيء يمكن تناسق مكوناته، فالشعر أيضا جماله يمكن في لغته بإعتبارها رموزا شتر الصورة في الذهن وبالتالي فهي وسيلة من وسائل الإيجاء. إذن فاللغة كما هو متفق عليها هي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم كما يعرفها دوسوسير قائلا: "هي تلك الفترة التي تكون لدى كل فرد من أفراد مجتمع معين والتي تمكن من التعبير عما يريد بجمل جديد ربما لم يستعملها من قبل"[1]. أما اللهجة فأحسن تعريف لها هو ما

[1] دنايق حزم: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة ص١٠٨.

ذكره إبراهيم أنس حين قال: " اللهجة في الإصطلاح العلمي الحديث هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة و تشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة. وبيئة اللهجات هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات لكل منها خصائصها، ولكنها تشترك جميعا في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر إتصال أفراد هذه البيئات ببعضهم بعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهما يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات"[1].

إذن العلاقة بين اللغة واللهجة هي العلاقة بين العام والخاص، لأن اللغة بصفة عامة تشمل على لهجات ولكل منها ما يميزها من صفات.

ويتضح لنا جليا من هذا التعريف بعض ما تتميز به لغة رباعيات المجدوب باعتبارها لغة الشعر الشعبي، فهي ليست لغة فصيحة فصاحة كلية، وليست بعيد عنها تماما وإنما تحتل المرتبة الوسطى ولعل هذا ما جعل محمود دهني يقول عنها: "الأدب الشعبي يمتاز بلغة معينة من الصعب وصفها أو تحليلها، ولكنها على وجه القطع ليست عامة، وعلى أساس الترجيح فصحى راعت السهولة في إنشائها"[2].

إذن فالعلاقة بين لغة الأدب الرسمي و الأدب الشعبي قائمة لا يستطيع أحد إنكارها، كما أن الاختلاف بينهما ظاهر يتجلى في قدرة كل واحد على إعطاء وإيصال المعني من خلال التوظيف الصحيح والتسليم للمصطلحات.

---

[1] إبراهيم أنيس: في اللهجات العربية, مكتبة الأنجلو المصرية ط٣, ١٩٦٥ ص١٦.
[2] محمود دهني: الأدب الشعبي العربي, مفهومه و مضمونه, مطبوعات جامعة القاهرة. عام ١٩٩٢ ص١٨.

القاموس اللغوي :

و بما أن موضوع رسالتنا يتعلق بالخطاب الجنسي لا غير عند عبد الرحمن المجدوب ، فلا بد من الإشارة إلى أن له قاموسا لغويا خاصا به في هذا المجال. هذا القاموس الذي طبع رباعيته بقيم متعددة و لكل قيمة لغة خاصة بها و يتضح ذلك فيما يلي:

١- القيمة القاسية للمرأة :

من خلال عدد الرباعيات المسطرة على ديوان عبد الرحمن المجدوب و المتمثلة في سخط الشاعر و غضبه المتكرر على المرأة نلاحظ أنها تمثل قيمة سلبية قاسية بالدرجة الأولى. و الدليل على ذلك استعماله خلال حديثه الساخط و القاسي على المرأة حوالي ثمانين كلمة تتوزع حول محاور متعددة أهمها: الخيانة, الكيد, الحيلة, عدم الوفاء... إذن فالألفاظ الخاصة بهده المحاور جاءت ملائمة لما يريده الشاعر من معاني و أغراض. فالغرض هنا تبيان مساوئ المرأة و تعدادها و تحذير الرجل من الوقوع في حيلها و مكرها. لذلك جاءت الكلمات سلبية, جارحة في بعض الأحيان متينة منسجمة مع القيم القاسية و السلبية للمرأة و التي يريد تعدادها الشاعر.

٢- القيمة الإيجابية للمرأة :

هذه المصطلحات تقل من حيث العدد بالنسبة للمصطلحات السابقة, فبعد أن كان المجدوب قاسيا على المرأة حن و رق

عليها لكن بالرغم من ذلك فرباعيات الرضى و المحبة لا تناصر الأولى من حيث العدد و إن ذكر فيها مزايا المرأة و اعترف بضعفه أمامها متغزلا بها حيث لم تتجاوز هذه الكلمات الخمسون كلمة لأنه لجأ إلى المفردات ذات المعنى الحقيقي بهدف الوصول إلى التسامح دونها تكلف أو تضع, فلم يكن أديبا صناعيا يتقن في أخبار القوالب الجميلة التي يؤثر في عواطف النساء –المرأة – و إنما كان يقول الشعر بطريقة تلقائية و عفوية.

٣- الكلمات المتعلقة بجسد المرأة :

تبلغ الكلمات التي يقوم فيها عبد الرحمان المجدوب بوصف المرأة وصفا ماديا بحوالي أربعون كلمة بغية تحديد صفتها الجسدية جميلة كانت أو قبيحة. من مثل : عرقوب ضلوعها – يتحزموا – يتخللوا ... و في ذلك يقول :

إلى عَرقوبِها يذبحُ الطيرُ و ضلوعُها بالعُدادُ
إن بغى الشرَّ يذهبُ تقولُ له رواحَ وَ أينَ غادُ[1]

٤- الكلمات المتعلقة بجمال المرأة :

تبلغ هذه الكلمات حوالي ثماني و عشرين كلمة مثل: نخلات رواضي – زينات – مزين – ضحكات – حديث النساء. فالمرأة المشتملة على هذه الصفات هي أحلى النساء في نضره.

يا الجايزاتُ يا نخلاتُ رواضي

[1] بل بشير ميلود – الحكمة الشعبية في رباعيات عبد الرحمن المجدوب ص ٩٩

أنتما قاع زينات وَ أنا بغيت غير هادي[1]

من خلال القاموس المعجمي للشاعر نلاحظ أن لغته المتعلقة بالخطاب الجنسي للمرأة تنحصر في ثلاث مائة كلمة، فجاءت بعضها حاملة الطابع المظهري الوصفي و الأخرى ذات طابع إيجابي. و عليه فالكلمات الأكثر انتشارا في رباعيات عبد الرحمن المجدوب و المتعلقة بالمرأة هي الكلمات الوصفية المباشرة و التي توحي و تدل على المعنى أو الغرض أو الصفة التي يريد الحديث عنها دونها الحاجة إلى تشبيهات و استعارات إلا ناذرا و عندما تقتضي الضرورة و حتى و إن وجدت كانت صريحة و واضحة و من ذلك قوله :

نوصيك يا كارت القديم بالك من دخانها لا يعميك
لا تدسي المرأة المعفونة تتعاون هي و الزمان عليك[2]

٢. المصطلح الاجتماعي :

إن الألفاظ هي المادة الخام التي تتكون منها الأساليب لدى الشعراء, وحسن انتقائها ملائمة لما يريده الشاعر من معان مزودة بشحنة موسيقية خاصة بها ثم وصفها في تعابير محكمة كل هذا يخدم النص الشعري خدمة كبرى. و من بين هذه الألفاظ المصطلح الاجتماعي و هو كل مفردة لها علاقة بالحديث عن المجتمع كيفما كان غرض هذا الحديث. و هذا المصطلح من أكثر المصطلحات حضورا

[1] المصدر السابق ص ١٧
[2] المصدر نفسه ص ٨

في رباعيات الشاعر سواء تعلق الأمر بالمرأة أو بغيرها و من خلاله يتبين وضع المرأة بصفة خاصة في المجتمع المغربي –عصر الشاعر– وضع الإنسان بصفة عامة. و نستنتج من خلالها هموم الشاعر اقتصاديا و تربويا الأمراض الاجتماعية لأن الأدب بصفة عامة مرآة العصر و المجتمع.

٣. إذا تأملنا عناصر القاموس المعجمي للشاعر نجدها جملة من المتناقضات و المتزاوجات فمن المتناقضات نجد مثلا :

المحبة ≠ الكره،

سرور ≠ دموع

أما من المتزوجات: الشدة = الضيق, الماء = الثلج

<u>البنية الإفرادية</u> :

إن السؤال الذي يواجهها في هذه الدراسة و التي تعتمد فيها على العملية الإحصائية ماهي الطابعة في النصوص الأدبية المتواجدة بين أيدينا أي رباعيات عبد الرحمن المجدوب المتعلقة بالخطاب الجنسي – المرأة؟

هل هي الأفعال أم الأسماء؟ و ماهي الخصائص المميزة لكل عنصر من هذين العنصرين ؟ فما هو الزمن الطاغي على النص هل الماضي أم الحاضر أم المستقبل باعتبار الزمن هو صانع التجربة و الأفعال هي وعاء هذا الزمن و كلاهما يلازم الآخر فمن المستحيل

إيجاد فعل بدون زمن[1] و بعد عملية الإحصاء التي قمنا بها على ثلاثين رباعية أي ستين بيتا فوجدناها تحتوي على :

الأسماء الكاملة (المعرفة بـــ ال و العنصر الكاملـــة مائتـــان و ستة عشرة اسما (٢١٦) أما الأفعال المصارعة اثنا و ستون فعلا (٦٢) و الأفعال الماضية ثلاثون فعلا (٣٠) و الأفعال المستقبلية (الأمر) تسعة عشر فعلا (١٩) و من كل ما تقدم نستنتج أن:

أولا : من خلال عملية الإحصاء يتضح أن الأسماء بنوعيها هي الطاغية على نسج هذه الرباعيات ثم تليها الأفعال بنسبة أقل بالقياس إلى الأسماء .

ثانيا : إن أبيات الرباعيات تكاد تكون متساوية البدايات حيث كانت بداية الوحدات مرة بنية من جنس الاسم و مرة أخرى من جنس الفعل باعتبار أن هذين العنصرين يظلان أساس البنية في مختلف اللغات.

ثالثا : إن الأسماء الكاملة و الغير كاملة في هذه النصوص تزيد عددا عن الأفعال بأزمنتها الثلاثة .

رابعا: إن الأفعال التالية على المضارع من حيث الزمن باعتباره صوت الواقع تسيطر في هذه الرباعيات أو بمعنى آخر هذه الظاهرة قد تكون عامة في أغلب النصوص الأدبية ذات الجنس الشعري لأن المبدع ينطق دوما في تفكيره من الجنس في

[1] المرجع نفسه ص ٢٥

عمله الأدبي من حاضره ثم غالبا ما يعود إلى ماضيه لأنه جزء لا يتجزأ من جذور تجربته الشخصية أو تجارب غيره ، فالأول بالضرورة مرتكز على الثاني و كما يقال الماضي خزان الذكريات [1] أما فعل الأمر المتمثل في المستقبل فلا يلجأ إليه إلا توهما و تأملا لأنه غير مضمون فلا أحد من المبدعين يصفه خاصة أو من الناس بصفة عامة يستطيع أن يتحدى هذا الغيب و يتحدث على المستقبل بصفة مطلقة لذلك لم ترد أفعال الأمر إلا تسعة عشر مرة لا غير.

البنية التركيبية :

كما سبق الذكر أن البنية التركيبية هي التي تبحث في خصائص الوحدات المؤلفة للخطاب :"و بما أن الخطاب نسج من الألفاظ و النسج مظهر من مظاهر النظام الكلامي الذي يتخذ له خصائص لسانية تميزه عن سواه"

و إذا اعتبرنا أبيات الرباعيات وحدات تارة تطول و تارة تقصر و تارة أخرى تحتل الأمر الوسط. فما هي إذن خصائص هذه البيئة في رباعيات عبد الرحمن المجدوب؟ أي كيف هي هذه الوحدات المؤلفة من الطول و القصر ؟ ماذا تصدر بدايتها هل هو الاسم أم الفعل ؟[2]

و عندما جئنا إلى النص نجد فيه عن إيجابيات لأسئلتنا تلك لا حظنا توازنا ألسنا في بدايات البنية التركيبية حيث وجدنا تبتدئ بفعل

[1] المرجع السابق الصفحة نفسها
[2] المرجع السابق ص ٣٤

و.... تبتدئ باسم إذن لم يطغى الفعل و لا الاسم و على الفعل فالأول يمنح الخطاب حركية دائمة أما الثاني وهو الاسم يمنحها الثبوت و قد كانت هذه الوحدات أبيات الرباعيات تتزاوج بين الطول و التوسط ثم أننا وجدنا أحيانا تشابها في بعض الرباعيات.

الإيقاع و الدلالة

عندما نقول الإيقاع تتحدث بالضرورة عن الشعر لأنه خاصية الأولى فلو لم يكن الإيقاع لما كان الشعر فالأول يجعل من الثاني خطابا ذا خصائص صوتية تميزه عن النثر و نحن لا نعي بهذا الكلام أن الإيقاع وحده كافي لتمييز الشعر عن النثر أو العكس و عليه فالسؤال الذي يطرح نفسه ما هو الإيقاع؟

لقد اختلفت التعريفات و الآراء حول مفهوم النقاد للإيقاع لكن الرأي الأعم يجمع على أن هذا الأخير " يكون في النص الأدبي يشمل بنيته الداخلية و بنيته الخارجية كما قد يشمل بنيته العامة من بعد ذلك "[1] إذن فالإيقاع يجمع بين الصوت الخارجي للبيت أي الروى و بين نهايات الوحدات أي القافية و التركيبات الداخلية للخطاب، فكأن الإيقاع الصوتي كله في البنية السطحية للنص الأدبي إذن الإيقاع يتعدى الروي و القافية ... و هو يشمل النص الأدبي في كل مظاهره الصوتية و الإيقاعية خارجية و داخلية و يأخذ الإيقاع الأشكال التالية:

[1] المرجع السابق ص ١٣٣

أولا الإيقاع التركيبي أو المركب : و هو المعروف بمصطلح البحر و أول من فعله و نظر له و أقام إيقاعاته الموسيقية خليل أحمد الفراهيدي.

ثانيا الإيقاع المفرد أو الإيقاع الداخلي : و هو ما عرف عند البلاغيين بمصطلح المماثلة و هو الذي يسلط على الصياغة الدامية يسطح النص الشعري خصوصا و الأدبي عموما يتخذ مظاهر إيقاعية تتلاءم فيما بينها داخليا لتظاهر الإيقاع الخارجي و تستقيم معه .

ثالثا الإيقاع الخارجي : و هو ما يبحث في القافية بالإضافة إلى ما فيها مما يظاهرها على التمكن و الترضي و التلذذ [1]الوحيد لمعرفة ما تستمع بتمني موسيقي [2]

إن ما يمكن ملاحظته من هذين الرأيين إبعاد صامتيها خضوع الشعر الشعبي للبحور العربية التي استنبطها الخليل و أنها تخضع لوزن خاص بها لا غير أساسه اللحن و الإيقاع و السماع.

و من كل ما تقدم نخلص إلى أن الاتجاهين أساسين و متعلقين بدراسة أوزان الشعر الشعبي يختلفان للواحد عن الآخر، فالأول يقول بخضوع القصيدة الشعبية لبحور الخليل في حين الرأي الثاني ينفي ذلك و يخضعها للسماع اللحني، إذ يبدو من خلال ذلك أن الشعر الشعبي يخضع لوزن معين و لا تحكمه أوزان

[1] المرجع نفسه ص ١٣٧
[2] بلبشير ميلود : المرجع نفسه ص ٢١٥

الشعر الفصيح من بحور الخليل و بعد هذا الكلام تنتقل إلى بعض نماذج رباعيات المجدوب لتحليلها من حيث التفعيلات لنصل إلى معرفة طبيعتها الوزنية و لكن قبل ذلك لا بأس من الإشارة إلى أن تفعيلات الدوبيت الأصيلة هي تسعة عشرة تفعيلة مرتبة كالآتي:

فعلن متفاعلن فعولن فعلن فعلن متفاعلن فعولن فعلن

النموذج الأول

كتابة الرباعي :

ما كان كالحرب تجارة ما كان كالأم حبيب

ما كان كالنثر خسارة ما كان كالدين طلب[1]

جـ. تقطيع الرباعي :

0-0-000-0-00-0- 0-0-00-0-00-0-

0-0-00-0-00-0- 0-0-000-0-00-0-

د. تفعيلات الرباعي :

فَعْلُنْ فعلون 0-0-0 فَعْلُنْ فَعْلُنْ فاعْ

فَعْلُنْ فعلون فَعْلُنْ فَعَوْلُنْ فَعْلُنْ 0-00

إن أول شيء يشد انتباهنا في هذا الرباعي هو خاصية التسكين التي تميزت بها اللغة العامية التي تبدوا واضحة هنا على الرغم من

[1] الديوانتي ص ١٤

أن معظم الرباعي جاءت عربية فصيحة كما أننا نلاحظ استحالة استخراج التفعيلة الأخيرة من السطر الأول و السطر الرابع و ذلك لأنها ابتدئت بسكون كما أن التسكين هو السمة الغالبة على الباقي و التفعيلات التي لا علاقة لها بتفعيلات بحور الخليل إلا واحدة و هي "فعلن" و هي من بحر المتدارك.

النموذج الثاني

كتابة الرباعي :

الصَّمْتْ حَكْمَة وَ مَنهْ تَتْفَرَقْ الحْكَايَمْ

لُومَا نَطَقْ وَ لدْ اليْمَامَة مَا يجِيبْ وُلِيدْ الحْنَشْ هَايَمْ

الكتابة العروضية للرباعي :

اصمت حكمه و منو تفرق الحكايم

لو ما نطق و ليد ليمامة ما يجيه وليد الحنش هايم

0-0-/00-0- 0-0-/00-0-0-/0-0-/0-0--

0-/0-0-/00-0-/00-0- 0-0-/0-00-/00-/00-/00-

ب. تفعيلات الرباعي :

فَعْلُونْ فَعْلَنْ فعلون فعلن فعلون فعلن

فَعْلُونْ فعلُونْ فعلن فَعْ فَاعْ فاعْ فعُولْ فاعلن فعلن

أول ما يلاحظ على هذا الرباعي أن تفعيلات بيتيه غير متساوية فالبيت الأول تكون من بيت تفعيلات، اثنان في الشطر الأول و أربع

من الشطر الثاني بالتالي فأشطر الثاني فاشتمل على تسع تفعيلات أربع في الشطر الأول و خمس في الشطر الثاني و بالتالي فالشطر الرباعي جاءت غير منسجمة في عدد الحركات و السكنات.

كما نلاحظ أن تفعيلات هذا النموذج ضمت بالإضافة إلى "فعلن" التي وردت في النموذج السابق و التي تنتمي إلى المتدارك – ثلاث تفعيلات من البحر المتقارب و هي :"فعولن" "وقع" (براء) فعول لا مقصورة.

إذن فهذين البيتين لا ينتميان إلى أوزان بحور الشعر العربي و إن كانت تفعيلاتها قصمت بعض الأجزاء من المتدارك و المتقارب.

بالإضافة إلى هذه الاختلافات في الإيقاع فإن هذا الأخير يختلف أيضا حسب اختلاف إيقاع الوحدة الشعرية في حد ذاتها أي تبعا لتفعيلاتها ثم بحسب أدائها أي قراءتها ، فالإيقاع يظل لا يتبع به مثله مثل الألفاظ المطروحة في القواميس و المعاجم أو كالموسيقى لا ينتفع بها إلا إذا أعزفت على آلة معينة.

أما الذي يهمنا في هذه الدراسة هو الإيقاع المركب أي كل ما يتعلق بالأوزان و البحور و لما كانت أوزان الرباعي أو ما يعرف بالتدويب لا يتفق مع بحور الخليل بن أحمد الفراهيدي كان لازما علينا الإطلالة على أوزانه حتى تمكن من الإلمام به و توضيح خصائصه السلكية.

و قبل هذه اللمحة الوجيزة على أراء الدارسين لأوزان الشعر الشعبي فكما هو معلوم ان الشعر بصفة عامة يخضع إلى ثاث أمور أساسية مميزة في النثر ألا و هي الوزن و القافية و الإيقاع و عليه و هناك العديد من الدارسين قاموا لمحاولات عدة لدراسة الشعر الشعبي من حيث هذه الأمور الثلاث و كل له في ذلك اتجاه يختلف عن الآخر.

١.*رأي يعترف بخضوع القصيدة الشعبية للوزن :*

و أصحاب هذا الرأي يرون أن الأصل في أوزان الشعر الشعبي هو بـــحور الخليل و من بينهم صفعن الدين الحلي و أبو بكر بن حجـــة الحمومي (٨٣٧ هـــ).

حيث قال :"إن الأزحال بدأت في عروض العرب فكانت القصائد في بحر واحد و قافية واحدة و الاختلاف بينهما و بين الرسمية إنما يكمن في اللفظ و اللحن ، حيث أن القصائد الزجلية ابتلت بلغة عامية " و كان أغلبها يلحن ليعني "[١].

و قوله أيضا :" و في الزجل لم تزل أوزانه إلى عصرنا هذا متجددة و لكنها غير جائزة في الشعر لخروجها عن البحور المعهودة و مخالفة كل سطر في البيت الآخر في القصر و الطول و القافية و بناء البيت الواحد على عدة أوزان و قواف و تعصير الأقفال إلى

[١]أبو بكر بن حجة الحموي : بلوغ الأمل في فن الزجل تحقيق رضا محني القريشي تصدير عبد العزيز الأهوابي – وزارة الثقافة و الإرشاد القومي دمشق سنة ١٩٧٤ ص ١٢٨

غاية من القصر و لهم ملكة في بحر الوزن و قوة في أن يستخرجوا منه وزنا ثانيا و لم يتغير اللفظ..."[1].

يتضح لنا من هذا القول أن الزجل في الشعر الشعبي كان خاضعا لبحور الخليل في بداية ظهوره كما أن الفرق بينه و بين الشعر الفصيح يكمن في اختلاف فصاحة الألفاظ و عاميتها و بمرور الزمن تطور هذا اللون الشعري و بالتلي تطورت أوزانه فخرجت من الشعر العربي و كونت أوزانه و تجددت باستمرار في النص الشعري نفسه .

٢. ***رأي ينفي عن القصيدة الشعبية الأوزان :***

و حجة أصحاب هذا الاتجاه في ذلك أن معظم القصائد الشعبية نظمت لتكن و تعني ذلك تكون أبياتها خاضعة لانسجام النغم و اللحن المناسب له و يمثل هذا الرأي العديد من الدراسي نذكر من بينهم عبد اللطيف البرغوتي و عبد الله الركيبي فيقول الأول :" و علينا بالطبع أن تتذكر دائما أن العبرة في هذه الأغاني الشعبية هي في لفظ كلمات الأغنية كما نعني و ليس بالحكم عليها كما تكتب و تلك قضية أساسية لأن المعنى الشعبي لا يعرف البحور و لا يفكر فيها و إنما يعرف بلحن الأغنية "[2] أما عبد الله التركي فيقول :" إنه من الصعب أن نضعها في بحر معين لأن السكون في نطق الكلمات من جهة و نسج

---

[1] المرجع السابق ص ٩٨.

[2] عبد اللطيف البرغوتي : القصيدة الشعبية / فلسطين الثورة /عدد خاص ١٩٨١/٠١/٠١ ص٣٤٦.

الألفاظ بأسلوب عامي من جهة أخرى يجعلها خارجة عن الوزن و يبقى السماع هو المقياس الوحيد لمعرفة ما تتمتع به من موسيقى[1].

و بعد هذه الإطلالة على جهود بعض الدارسين و محاولتهم في دراسة أوزان الشعر الشعبي و على بعض نمادج رباعيات عبد الرحمن المجدوب نستطيع القول :

أولا : إن الدارسين لأوزان الملحون سواء أولئك الذين أخضعوه لأوزان الشعر العربي أو الذين نفوا عنه ذلك لم يتمكنوا من ضبط و تقييد أوزان معينة و ثابتة بخضع لها هذا اللون الشعري.

ثانيا : بعد التطرق إلى بعض النمادج من رباعيات المجدوب عرفنا أنها لا تخضع في أوزانها إلى بحور الشعر العربي المتعارف عليها على الرغم من من وجود بعض التفعيلات فيها مثل "فعلن " المنتمية إلى البحر المتدارك و فعلو لن المنتمية إلى البحر المتقارب و قد تأتى صحيحه كما هي كما قد تأتى بسورة "فع" أو مقصورة "فعول" .

ثالثا :لا يمكن تطبيق تفعيلات بحور الخليل التفعيلية العربية الخليلية على الشعر الشعبي الملحون لأن محاولة متابعة لرباعيات المجدوب لها قواعد خاصة تخضع لها ليست نفسها التي تخضع لها اللغة الفصيحة و هذا الكلام ينطبق على كل شعر منظوم باللغة العامية إذ نجد كل من العربي وحدو و التلي بن

[1] عبد الله الركيبي: الشعر التبني الجزائري الحديث /ش.و.ن.ت/ الجزائر الطبعة الأولى ١٤٠١ه/١٩٨١م ص٤٩٢/٤٩٣.

الشيخ يؤكدان ذلك و يعترفان عن طريق بحور الخليل ضرب من الشخى على هذه النصوص و إقحام لها فيما لم تخلق له أصلا "[1]

أما التلي بن الشيخ فيقول في ذلك :"و الواقع أننا حين نحاول تطبيق بحور الشعر العربي على الشعر الشعبي نجد هذا الأخير يختلف إختلافا واضحا عن الأوزان العربية و لا يخضع لتفعيلاتها و كثيرا ما يجمع الشاعر في القطعة الواحدة بين أكثر من وزن و لهذا فإن محاولة إخضاع الشعر الشعبي لمحور التحليل تبدو لنا غير ممكنة[2] "

[1] العربي دحو : الشعر الشعبي و الثورة التحريرية بدائرة مروانة ١٩٥٥-١٩٦٢ ديوان المطبوعات الجامعية – الجزائر ١٩٨٨ ص ١٣٨.
[2] التلي بن الشيخ دور الشعر الشعبي الجزائر في الثورة ١٨٣٠-١٩٥٤ – الشركة الوطنية للنشر و التوزيع – الجزائر ١٩٨٣ م ص لا ٤١٩

الخلاصـــة :

نستخلص من الفصول التي قدمناها في هده الرسالة أن المرآة تناولتها بالبحث و الدراسة علوم مختلفة كالتاريخ و الفقه والقانون و الاجتماع و الأدب و السياسة وعلم النفس وعلم الشريعة.

أما موضوع المرأة بمفهومه الشامل فقد حسمه الإسلام مند أكتر من أربعة عشر قرنا من الزمن وصورة المرأة في الشريعة الإسلامية ليست هي المرأة قبل الإسلام حيت كانت وعبر كافة الحضارات و في مختلف العصور تقريبا عبارة عن متاع من أمتعة الرجل له كامل الحق في التصرف فيها حتى درجة بيعها في الأسواق و بأرخص الأثمان, وكانت عند البعض الآخر تدفن حية وجاء الإسلام وأعطى المرأة حقوقا لم تكن يوما لتحلم بها حقوقا رأى الله عز و جل أن المجتمع الإنساني لا يكتمل إلا بها.

أما في العصور التي جاءت بعد ظهور الإسلام كانت المرأة العربية في مجتمعها مثالا للزوجة الفاضلة و الأم المثالية و الأخت الحنون و في بعضها الأخر أخذت كامل حريتها و أتيحت في مجالس اللهو و اللغو ولاسيما العصر العباسي ... المهم أن الرجل العربي قد

أدرك مكانتها وقدر كل تضحياتها فعمل جاهدا على حفظ مكانتها المرموقة وحسن رعايتها إلى جانب تعليمها و تثقيفها.

لكن وبتدهور أوضاع المجتمع العربي الإسلامي تدهورت وضعية المرأة من جديد فبالرغم من كل ما قدمه لها الإسلام من قبل جاءت الظروف و حرمتها من النصيب الأكبر منه.

و قضية المرأة لا تزال مطروحة للتفكير و التقدير, و كانت ولا تزال الآراء تختلف في تقديرها اختلافا حتى التضارب و التناقض وكأنها قضية الحياة كلها. وهدا ما لحظناه في الأشكال الأدبية و بما أن الشعر الشعبي شكل من هده الأشكال عرضنا لأحد أعماله وهو عبد "الرحمان المجذوب" فرأينا بأن هدا الأخير من بين الدين اقتربوا من المرأة فجاء حديثه عنها نظرية متكاملة الأبعاد بين فيها نقاط ضعفها و قوتها.

و الموروث الثقافي لهدا الشاعر يعترف بطريقة غير مباشرة بمكانة المرأة القوية واحتكامها إلى سلطة مضادة تستعملها ضد الرجل إلى درجة أنها تشكل خطورة عليه و لتفادي دلك ينصح العقل الشعبي الرجل بأن يعي و يدرك خطورة حيل و خبث المرأة لدلك يجب أن لا

يستهين بالتربية المستقاة من الخبرة الشعبية حتى يتمكن من المحا فضة على مكانته و مركزه و سلطته كرجل و بالتالي المحافظة على ذكورته.

كما كشفت لنا هده الدراسة عن العلاقة القائمة بين الجنسين "التسلط و الخضوع" ومنه فخصائص الذكورة و الأنوثة عند عبد الرحمان المجذوب هي كالآتي:

الرجل	المرأة
القوة	الضعف
العقل	العاطفة
الشدة	اللين
التأثير	التأثر
السيادة	التبعية
العلم	الجهل
الصراحة	الحيلة
الشرف	الخيانة
الجمال	القبح

كما نستخلص أن لعبد الرحمان المجذوب بعدا دلاليا و رمزيا لأنه لم يثر على المرأة في حد ذاتها و إنما ثار على المجتمع الذي كان يعيش فيه بكل ما فيه من عيوب و علل من خلال الإرادة الرافضة لهده الأوضاع و الرغبة الجامة في التغيير و الإصلاح. لدلك فقد جاءت لغة الرباعيات لغة خاصة حتى يفهمها العام و الخاص حاملة بين طياتها ألف عبرة عن كل غرض.

الخاتمة

الخـــاتمـــة :

أما وقد أشرفت على نهاية هذا البحث و بعد الخلاصة التي قدمتها التي اشتملت على أهم النتائج التي توصلت إليها فقد انتهى بي المطاف إلى هذا الحد الذي اقتضاه المنهج و ارتضاه البحث, و رسمت له السورة التي رجوت يحمل أن ألم بالمعالم الكبرى للبحث في هذه الخاتمة التي أحملها فيما يلي :

١- إن حياة الشاعر سيدي عبد الرحمان المجدوب معمورة لعلة الأخبار عنها وتضاربت الآراء حولها على الرغم من أن اسمه بلغ من الشهرة وبعد الصيت, ما جعله حكمة تنتشر وتداول من العام والخاص في أرجاء المغرب العربي وتحفظ عن ظهر القلب، ويضرب بها المثل في المجالس والمناسبات .

٢- المرأة العربية تحتل مكانة مرموقة في الإنتاج الثقافي العربي سواء الرسمي أو الشعبي.

٣- يحمل الواقع العربي الماضي أو المراهق بين طياته مزيجا من أشكال القهر الإنساني ويشترك في تحمل هذه الأثقال الرجل والمرأة إن لم تقل أنها أكثر تحملا منه لأنها تواجه بالإضافة إلى ذلك مشتقات خاصة لها جذور صارية في أعماق التاريخ، تربط بالتركيب

الاجتماعي العربي وبالتراب الذي مازال حيا وله انعكاس واضح في الذاكرة الشعبية.

٤- الموروث الثقافي لعبد الرحمان المجدوب يعترف بفاعلية المرأة وامتلاكها سلطة مضادة محكمة، حيث أنها تشكل خطورة كبيرة على مصالح الذكور.

٥- كشف القناع عن نوعية العلاقات القائمة بين الجنسين في الأنظمة الأبوية التي حكمها ثنائي التسلط والخضوع الأول للرجل والثاني للمرأة.

٦- يترتب عن النتيجة الخامسة نتيجة حتمية وهي نشوب صراع بين الجنسين. فالذكورة تمتلك كل السلطات البدنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية. أما الأنوثة فتمتلك سلطة أخرى تواجه بها سلطة الرجل ألا و هي الجنس الذي يعتبر أقوى الأسلحة و أخطرها عند المرأة والتي تستعملها باتفاق.

٧- اعتراف رجاحة وكمال عقل المرأة في محاولتها الناجحة لكسر سلطة الذكورة ولعل أكبر دليل إلى ذلك لجوء الرجل إلى استعمال نفس الإستراتيجية للحفاظ على وضعية ومركز قوية.

٨- وبالتالي فإن عبد الرحمان المجدوب لم يثر على المرأة في حد ذاتها وإنما ثار على المجتمع الذي كان يعيش فيه بكل ما فيه من عيوب وعدل من خلال

الإرادة الرافضة لهذا الأوضاع والرغبة في التغير والإصلاح. لذلك كان لهذا الشاعر بعد دلاليا ورمزيا خاص.

٩- لغة الشاعر من خلال البني المتشكلة لها، ميزتها الألفاظ عامية، فالقاسية سلبية، خشنة والإيجابية رقيقة، عذبة وفق لطبيعة الموضوع والغرض " السخط والرضى" والبيئة الحضارية .

١٠- إن شعر عبد الرحمان المجدوب لا يخضع إلى—— — إلا بعض التفاعلات الطارئة التي لا تشكل داخل البيت الواحد بحرا خليليا موروثا.

المصادر و المراجع

المصادر :

١- القرآن الكريم.

٢- الحديث الشريف.

٣- أبي الفضل جمال الدين ابن منظور:[لسان العرب]. الجزء الثامن. صادر للطباعة و النشر بيروت. ١٣٨٨ه/١٩٦٨م.

٤- ابن زيدون: [الديوان], تحقيق علي عبد العظيم, طبعة مصر د.ذ.ت.

٥- إليا أبو ماضي: الجداول, مطبعة مرآة العرب نيويورك ١٩٢٧.

٦- المجدوب: (سيدي عبد الرحمان) [الديوان]-دار إحياء العلوم- الدار البيضاء, المغرب.

٧- نزار قباني: [قصائد منه] -دار الكتب- بيروت, الطبعة الخامسة. ١٩٦٠.

المراجع :

٨- ابن أبي شنب (محمد) [تحفة الأدب في ميزان أشعار العرب]. تقديم أبي القاسم سعد الله. دار الغرب الإسلامي. لبنان. ط.٤ ١٤١١ه/١٩٩٠م.

٩- أبو المحاسن يوسف: [ممتع الأسماع في ذكرى الجازولي والتباع ومالهما من الاتباع] الطبيعة المصرية ، د،ذ ،ت.

١٠- الأبشهي : [المستطرق من كل فن مستظرف] ج٢ مطبعة مصطفى الباقي الحلي و أولاده بمصر الأخيرة ١٩٦٢.

١١- إبراهيم أنيس: [اللهجات العربية]: مكتبة الأنجلوالمصرية. ط ٣ سنة ١٩٦٥ ص١٢٣.

١٢- أبو حامد الغزالي:[الزواج الاسلامي الشعير وآداب اللقاء بين الزوجين] تحقيق محمد عثماني الحسين ، مطبعة أمزيان ، نشر دار حلب الجزائر عام ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

١٣- أبو القاسم الشابي:[الخيال الشعري عند العرب]، الدار التونسية للنشر ،د،ذ،ت.

١٤- أبو بكر بن حجة الحموي:[بلوغ الأمر في الزحل] ، تحقيق رضا محسن القرسي ، تصدير عبد العزيز الأهواني وزرة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق سنة ١٩٧٤م.

١٥- أحمد أمين: (١)[ضحى الإسلام] ، الجزء الثالث ، القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٣- ١٩٣٦.

١٦- أحمد أمين: (٢)[فجر الإسلام], دار الكتاب العربي, بيروت, لبنان. ط. ١٠. ١٩٦٩.

١٧- أحمد محمد الزغبي: [الإرشاد النفسي ، نظرياته، اتجاهاته ، مجلاته]، دار الحكمة البمانية للطابعة والنشر والتوزيع والإعلان الطبيعة لأولى ١٥١٤هـ/ ١٩٩٤م بيروت لبنان.

١٨- إحسان عباس: [تاريخ الأداب الأندلسي عصر السيادة].

١٩- التلي بن الشيخ: [دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة ١٩٣٠-١٩٥٤] الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائري ١٩٨٣.

٢٠- جروج عريس: الغزل وأعلامه.

٢١- الثعالبي (أبو منصور عبد المالك بن محمد اليسابوري):[قيمة الشعر في شعراء أهل العصر]- دار الفكر بيروت،لبنان، الطبيعة الثانية ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.

٢٢- حسن عبد القادر: [المرأة في الإسلام وفي المجتمع العربي].

٢٣- شعيد عاشور: [المرأة والمؤسسات الإجتماعية]،دار المعارف للطابعة والنشر ،د،ذ،ت.

٢٤- سامح كريم:[العقاد في معاركه الأدبية والفكرية] ، دار القلم بيروت لبنان، الطبيعة الأولى، د،ذ،ت.

٢٥- سعد بوفلاقة: [الشعر النسوي، اغراضية وخصائصه الفنية]، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ١٩٩٥.

٢٦- عباس محمود العقاد:[المجموعة الكاملة الإسلاميات]، المجلد الثاني، دار اللبناني بيروت ، الطبيعة الأولى ١٩٧.

٢٧- عزيزة مربدن: [القصة الشعرية في العصر الحديث] ، ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية ١٩٨٨ - ١١٣.

٢٨- عمر الدقاق: [فنون الآداب المعاصر في سورية] .

٢٩- عبد المجيد عابدين: [دراسة تحليلية نقدية لنماذج من الشعر الأندلسي]المطبوعات الجامعية الجزائرية ١٩٩٥.

٣٠- عبد المالك مرتاض:[بنية الخطاب الشعري، دراسة تشريحية لقصيدة "اشجاف يمانية"] ديوان المطبوعات الجامعية الجزائرية.

٣١- عبد القادر قيدوح. [رؤيا و التأويل] دار الوصال الطبعة الأولى ١٩٩٤

٣٢- عبد المنعم قنديل: [فتنة النساء] دار الشهاب، باتنة، الجزائر. بالتعاون مع مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة.

٣٣- العربي دحو:[الشعر الشعبي والثورة التحريرية بدائرة مروانة ١٩٥٥-١٩٦٢] ديوان، المطبوعات الجامعية الجزائرية ١٩٨٨.

٣٤- لسان الذين بن الخطب:[الإحاطة في أخبار غرناطة]، تحقيق محمد عبد الله عنان دار المعارف بمصر ، د،ذ،ط، د،ذ،ت

٣٥- محمد الفاسي: [معلمة الملحون]الجزء الثاني ، القسم الثاني ، الهلال العربية للطابعة والنشر ، الرباط، المغرب

٣٦- مصطفى عوض كريم:[ترجيم فني] التوشيح.

٣٧- محمد مبروك نافع: [تاريخ العرب عصر ما قبل الإسلام] الطبيعة الثانية ،د،ذ،د ،د،ذ،ت،د

٣٨- مولاي ملياني بغدادي: [حقوق المرأة في الشريعة الإسلامية] قصر الكتاب البليدة الجزائر طبيعة سنة ١٩٧٧.

٣٩- نوال السعداوي: [الوجه العاري للمرأة] ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيوت ،د،ذ،ط – د،ذ،ت.

٤٠- نازك الملائكة: [كلمات على حواء الحلقة الأول، مآخذ اجتماعية على حياة المرأة العربية] ، دمشق (د،ت) ١٩٧٣.

٤١- نايف حرما: [أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة] ط و سنة ١٩٧٩.

٤٢- نور الدين عبد القادر : [القول المأثور من كلام الشيخ عبد الرحمن المجدوب]، المطبعة الثعالبية، الجزائر، د،ت.

٤٣- هنري بيرس (و آخرون): في المتحف كتاب ألف ليلة وليلة ، الجزائر، دار المعارف ١٩٥٣.

الرسائل الجامعية :

١- بل بشير ميلود: [الحكمة الشعبية في رباعيات الشيخ عبد الرحمان المجدوب] إشراف د: شايف ، جامعة تلمسان السنة الجامعية ١٩٩٤,١٩٩٥.

المجلات و الدوريات :

١- زينب الأعوج: دفاتر نسائية، دار المصباح للنشر الجزائر ١٩٩١ .

٢- مجلة التراث الشعبي: العدد الثاني عشر ، السنة العشرة ١٩٨٩ وزارة الثقافة والإعلام دار الجاحظ ١٩٦٢.

٣- المجلة المصرية للعلوم السياسية: العدد السابع عشر أوت ١٩٦٢.

٤- المجاهد الثقافي العدد ١٨ سنة ١٩٧١.

٥- المستقبل العربي.

٦- عبد اللطيف البرغوتي: القصيدة الشعبية/ فلسطين الثورة عدد خاص ١٩٨١,٠١,٠١.

٧- شؤون عربية: العدد الثاني والعشرون ،ديسمبر ١٩٨٢م/ صفر ٤٠٣ هـ.

٨- الثقافة : العدد ٥٧. وزارة الإعلام و الثقافة بالجزائر سنة ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٩- المراجع السمعية: الإذاعة المغربية.

الفهرس

- الموضوع الصفحـــة

- إهداء.

- شكر و اعتراف.

- المقدمة ..... أ , و

- المدخل: ٠١
١- التباين الجنسي..... ٠٢
٢- عبد الرحمان المجدوب أصله و نسبه ٠٧
٣- تعريف الجنس الشعري –الرباعيات ٠٩

- الفصل الأول : واقع المرأة في المجتمعات العربية: ١٥
أولا: المرأة في العصور القديمة ١٧

ثانيا: المرأة في المجتمعات العربية ١٨
١- المرأة في المجتمع العربي ١٨
٢- المرأة في المجتمع الإسلامي ٢٣
٣- المرأة في المجتمع العباسي ٢٩
٤- المرأة في المجتمع الأندلسي ٣٢
٥- المرأة في المجتمع الحديث ٣٦

ثالثا: انعكاس هذا الواقع النسوي في الذاكرة العربية ... ٤٠
١- الفصل الثاني:صورة المرأة عند
عبد الرحمان المجدوب .....
٤٣

الجزء الأول :صورة المرأة في الأشكال الأدبية العربية ... ٤٤

- أولا صورة المرأة العربية في الشعر..... ٤٦
- ثانيا صورة المرأة في الأغنية ٥٤
- ثالثا صورة المرأة في الرواية ٥٧
- رابعا صورة المرأة في القصة الشعبية ٦١

الجزء الثاني: المرأة في رباعيات عبد الرحمن المجدوب ... ٥٦

- أولا المرأة قيمة سلبية : ٧٠
أ – المرأة الكائدة (الكيد) : ٧١
ب – المرأة الغير الوفية (الخيانة) : ٧٧
ج–المرأة الغير الصالحة للزواج : ٨٣

ثانيا المرأة قيمة الإيجابية: ٩٠
أ– التغزل بالمرأة.
ب– المرأة و الحب.

الفصل الثالث:أبعاد الرؤية الفنية في رباعيات
عبد الرحمن المجدوب : ١٠٠

أولا: البعد الفكري : ١٠٢
أ– الإحساس الرافض و إرادة التغيير: ١٠٣
ب– إدانة الواقع الاجتماعي: ١٠٤
ت– النزعة التأملية: ١٠٥

ثانيا: لغة الرباعيات: ١٠٦
القاموس اللغوي : ١٠٩
١– القيمة القاسية للمرأة ١٠٩
٢– القيمة الإيجابية للمرأة ١٠٩
٣– الكلمات المتعلقة بجسد المرأة ١١٠
٤– الكلمات المتعلقة بجمال المرأة ١١٠

٥- المصطلح الاجتماعي : ١١١
ثالثا : البنية .....
١١٢
١- البنية الإفرادية ١١٢
٢- البنية التركيبية : ١١٤

رابعا :الإيقاع و الدلالة ١١٥

الخلاصـــة ١٢٤

الخـــاتمـــة ١٢٨

المصادر و المراجع : ١٣٢

فهرس الموضوعات : ١٣٩